رؤية تأصيلية للثقافة
في عصر العولمة

الدكتور/ عبده مختار موسى

(الخرطوم: مركز دراسات المجتمع، ٢٠٠٥)

المحتويــات

المبحث	الموضوع	الصفحة
	تمهيـد	٢
المبحث الأول	مفهوم الثقافة والثقافة الإسلامية:	٣
	أولاً: في معنى الثقافة وعلاقتها بالحضارة	٣
	ثانياً: مفهوم الثقافة الإسلامية	٦
المبحث الثاني	دور المثقف المسلم في المجتمع	٩
المبحث الثالث	الغزو الثقافي	١٢
المبحث الرابع	أزمة المثقف العربي	١٧
المبحث الخامس	تأصيل أدوات الثقافة	٢٤
المبحث السادس	العولمة الثقافية وتحديات الأمة الإسلامية	٣٥
الخاتمـة		٤١
الهوامش		٤٣

تمهيـد

إن عملية تأصيل الثقافة في المجتمعات العربية الإسلامية في عصر العولمة تنبع من حقيقة أن من أكبر التحديات التي تطرحها العولمة هي التحدي الثقافي– الحضاري. ذلك لأن أخطر جانب في العولمة هو الثقافة. لأن العولمة تسعى لفرض ثقافة الغرب (مركز العولمة) على العالم. وهي ظاهرة تُعرَف بالإمبريالية الثقافية والتي تتخذ من الإعلام الدولي أداة لها. وهنا يكمن الخطر على هوية المجتمع العربي.

إن الهوية الإسلامية التي يجب أن تشكل السمة الأساسية لمجتمعنا تتعرض لتحدي ثقافة العولمة. والثقافة الإسلامية هي الركيزة الأساسية لحفظ الهوية وحمايتها من التذويب.

تزداد أهمية هذا الموضوع في العالم العربي – الذي نحن جزء منه – لأن العولمة تنطوي على أفكار خطيرة تهدد الحضارة الإسلامية مثل ما جاء به فرانسيس فوكوياما من نهاية التاريخ حيث أن قمة التطور الحضاري تمثل في انتصار الليبرالية والرأسمالية الغربية وهذا يعنى لا مجال للأيديولوجيات الأخرى في مستقبل العالم. وكذلك ما جاء به صمويل هنتجتون من صراع الحضارات الذي حصر فيه نهاية صراع الحضارات بين ثمان حضارات من بينها الإسلامية التي حذر منها هنتجتون باعتبارها الأخطر على الإطلاق لأنها تهدد الغرب ليس في مصالحه فحسب بل أيضاً في قيمه. من هنا بدأت حرباً جديدة ضد الإسلام تتستر أحياناً خلف زعم "محاربة الإرهاب" في سياق صراع الحضارات.

هذا يستدعي التصدي لهذه الهجمة العولمية الثقافية وذلك بالتحصين الثقافي وإحياء التراث ونشر الثقافة الإسلامية وفق منهج تجديدي وخطاب عقلاني يناسب العصر.

يتكون هذا البحث من خمسة مباحث هي: مفهوم الثقافة والثقافة الإسلامية، دور المثقف المسلم في المجتمع، الغزو الثقافي، أزمة المثقف المسلم، وتأصيل أدوات الثقافة بالإضافة إلى خاتمة تشير إلى أهمية أن يهتم المجتمع المدني بعملية التأصيل الثقافي لأن قادة المجتمع المدني هم قادة الرأي: من المفكرين والكُتَّاب و أساتذة الجامعات والمثقفين والإعلاميين؛ وهي العناصر الديناميكية الواعية التي يُعوَّل عليها كثيراً في تحقيق هذا الهدف.

المؤلف/ عبده مختار، الخرطوم، ٢٠٠٦

التأصيل الثقافي

مدخل:

إن مدخلنا للتأصيل الثقافي يمكن اختزاله في بضعة أسئلة محورية مثل: إلى أين تتجه ثقافتنا ؟ هل تتسق ثقافتنا اليوم في مبناها الجوهري مع النسق الإسلامي؟ و ما هي خصائص الثقافة الإسلامية؟ وهل هناك انحراف ثقافي ؟ هل هناك اختراق ثقافي أم أزمة ثقافية ؟ وما هو المنهج المطلوب للخروج من هذه الحالة؟

****

في عصر العولمة الذي يتسم بصراع الحضارات والاختراق الثقافي تصبح عملية التأصيل أكثر إلحاحاً. وعملية التأصيل في المجال الثقافي ترتبط بعملية تأكيد الهوية والذاتية الثقافية في مواجهة معطيات الحداثة والتحولات التي تفرزها عملية العولمة. ولذلك تتجه حركة التأصيل للبحث عن هذه الهوية في عصر ذهبي عاشته سابقاً الثقافة الإسلامية. ولكن عملية إحياء الثقافة الإسلامية وصفها الغرب بالأصولية بدلاً عن " التأصيلية" في خلط متعمد للمصطلحات لتشويه المفهوم حيث ارتبطت الأصولية – بفعل إعلام الغرب – في الرأي العام الدولي بحركات التشدد والتطرف والعنف ونحو ذلك.

لذلك تطرق بعض الباحثين مثل محمد عابد الجابري لمسألة المصطلحات والمفاهيم، حيث يرى أن مسألة " تقريب المفاهيم أو توحيدها يحتاج إلى توحيد المرجعية المعرفية وليست بالضرورة وحدة المرجعية الأيديولوجية التي قد تختلف بحسب المصالح المتعددة."[1]

المبحث الأول

مفهوم الثقافة والثقافة الإسلامية

<u>أولاً:</u> في معنى الثقافة وعلاقتها بالحضارة:-

لا توجد مفردة ثقافة (culture) في بعض الموسوعات بل توجد مفردة (cultivation) وهي تعني فلاحة الأرض. (أو إعدادها لاستقبال البذور) . أما في لسان العرب فهي مشتقة من ثَقِفَ الشيَء ثَقَفاً وثقافيا، أي حذقه وفهمه وتعلمه بسرعة .والرجل الثَّقِفُ هو الفطِن الحاذق.[٢] وفي الحالتين هي: فلاحة الأرض أو إعدادها لإنماء البذور وهي تماثل إعداد الفرد للمعرفة.

أما في الموسوعة البريطانية فلا تمييز بينها والحضارة حيث تناولتها الموسوعة البريطانية (Encyclopedia Britannica)تحت عنوان: الحضارة والثقافة. وأشارت إلي أن الثقافة: " منهج للعيش تسلكه جماعة بشرية ما، ويدخل في ذلك أنماط من السلوك تكتسب بالتعلم أو ترتكز على قواعد ثابتة يأخذ بها فرد فيعاينها ويقلدها فرد آخر ينتسب إلي هذه الجماعة.'' [٣]

قدم تايلر مفهوم أنثروبولوجي للثقافة: " ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة ، المعتقد ، الفن، الأخلاق ، القانون ، التقاليد ، وأي قدرات وعادات يكتسبها الفرد كعضو في المجتمع". [٤]

وقد انتقد بعض الباحثين تعريف تايلر (Tylor) لأنه خلط بين الثقافة والحضارة. ويعرِّف مالك بن بني الثقافة بقوله " هي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته." [٥] وتعتبر الثقافة جزء من أهم أجزاء "تكوين الإنسان العقدية والفكرية والسلوكية. وأهمية الثقافة للإنسان هي المحافظة والتجديد: المحافظة على عناصر الثقافة للمجتمع، والتجديد في إدخال العناصر المتغيرة النافعة للمجتمع والمطورة له، والمتلائمة مع العناصر العامة." [٦]

وهذا هو التحدي الكبير: كيفية تحقيق المحافظة مع التجديد ؟ ومن هنا يصح القول بضرورة أن يقترن التأصيل بالتجديد. والتجديد هنا ضرورة لمواكبة مستجدات العصر والتكيف مع تحولات الحداثة: " الثقافة لم تعد ترفاً. أنها الطريق الوحيد للتنمية في عصر العولمة والتقنيات المتقدمة، خاصة في مجال نقل ومعالجة المعلومات وهي ليست ثقافة اقتناء آخر صيحات

العصر كمجرد مستهلكين، بل هي ثقافة المنتجين والمشاركين الذين يتعاملون مع حضارة أيامنا وتوقعات الغد بطموح الندية الإنسانية العادلة لكل البشر".[٧]

هناك تعريف للثقافة مستمد من (الأنثروبولوجيا) الثقافية ، يشمل كل ما أضافه الإنسان إلى الطبيعية ، ومجموع طرائق التفكير والممارسة والفن وأسلوب الحياة، والتعبير عن الكرامة الإنسانية[٨] وهناك من يقول أن الثقافة هي الأخذ من كل علم بطرف ، ولا يراد بها التعمق في دراسة علم من العلوم ولذلك يقولون: " تعلم شيئاً عن كل شيء لتكون مثقفاً، وتعلم كل شيء عن شيء لتكون عالماً."[٩]

وعندما تضاف الثقافة إلى الأمة "ثقافة الأمة" فالمراد بها تراث تلك الأمة الحضاري والفكري في جميع جوانبه النظرية والعملية الذي تمتاز به الأمة. وهذا التراث الذي يشكل ثقافة الأمة متداخل ومترابط يشكل إطاراً ومحيطاً يحكم الأفراد والأسر والجميع في كل أمة.[١٠]

وثقافة الأمة في جوانبها المختلفة تشكل أسلوبها في الحياة. فعقيدة الأمة وتاريخها ونظرتها للحياة، والأفكار والنظريات التي تدور في عقول أبنائها و مفكريها ، تشترك جميعاً في تحديد الأسلوب الذي يحكم حياة الأمة ، ويضبط مسارها . لذلك عرف بعض الباحثين الثقافة بأنها " هي أسلوب الحياة السائد في مجتمع من المجتمعات".[١١]

والأفراد في كل مجتمع من المجتمعات يتشربون ثقافة الأمة التي يعيشون فيها ، وتؤثر هذه الثقافة في تكوينهم الفكري والعقائدي والخلقي ، ويندمج الفرد بذلك في مجتمعه ، وتتكون عاداته وتقاليده شيئاً فشيئاً ؛ يقول الرسول (ص) : "ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصَّرانه أو يمجسانه " (رواه البخاري ومسلم).

فالوليد خامة نظيفة طاهرة ليس فيها دنس الشرك والمعاصي، ولكن الوالدين يغرسان في ولدهما فكرهما وعقيدتهما وأسلوب حياتهما.[١٢]

وإذا خرج بعض الأفراد في مجتمع ما عن الطريقة التي ينتهجها ذلك المجتمع فإن المجتمع سوف يستهجن مسلكهم ويعتبرهم متمردين على قيم وآداب مجتمعهم.

وهناك فرق بين الثقافة والعلم والثقافة والحضارة كما أن للثقافة الإسلامية خصائصها المميزة لها.

فالعلم هو مجموعة الحقائق التي توصل إليها العقل الإنساني في مراحل تفكيره وتجاربه وملاحظاته المتسلسلة بتسلسل الزمن ... فلا تختلف بتفاوت الأذواق ، ولا تتغير بتغير المصالح.[١٣] هذا النوع من العلم تراث إنساني عالمي، لا تختص به أمة دون أمة .وبهذا الفهم فإن وأجبها

أن نستفيد من علوم الشرق والغرب، والأوائل والآخرون، ونبني الصروح العلمية التي تجعلنا أمة قوية مرهوبة الجانب: " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " (سورة الأنفال: الآية ٦٠).

أما الفرق بين الثقافة والحضارة فقد ميز بينهما أحد الباحثين بالقول " الحضارة هي ما نملك ، أما الثقافة فهي نحن" وربط البعض الثقافة بالجانب الأخلاقي والقيمي والهوية والتراث والشخصية أو الذاتية ؛ بينما ربطوا الحضارة بالإنتاج المادي والتطور العلمي. ويمكن القول أن الحضارة تقوم على البناء الثقافي. ‘‘والعرب تريد بالحضارة ما يقابل البداوة، والحاضرة تقابل البادية، وأن الحضارة هي حياة المدنية، والبداوة هي حياة البادية ، والحضر سكان المدن ، والبدو سكان الصحراء." [١٤]

ساطع الحصري، فيلسوف القومية العربية، أشار إلى أن كلمة حضارة تعني اليوم " مجموع الخصائص التي تنجم عن الحياة الاجتماعية. وأن الثقافة تعني أساليب التفكير والتحسس والعمل والآمال التي تضمن إصلاح وترقية هذه الأساليب." [١٥]

وتأخذ الثقافة ضمن معانيها المتعددة معنى اجتماعياً لأن الثقافة توصف بأنها سمة للمجتمع نفسه ، أي " صفة لا يكتسبها الفرد إلا بحكم انتمائه لمجتمع معين." [١٦] وهي بهذا المعني نقطة البداية أو النقطة المحورية حيث يبدأ الإنسان باكتساب ثقافة مجتمعه، أي باكتساب القيم والاتجاهات التي تسود في ذلك المجتمع عن طريق التنشئة الاجتماعية .

وتتجسد الثقافة في واقع الحياة من خلال تفاعل الأفراد والجماعات مع الطبيعة ومع بقية الناس في المجتمع، ومن ثم فإنها ليست أفكاراً أو قيماً مثالية مجردة، بل تنعكس في الواقع المعيشي الذي يصنعه الإنسان.[١٧] وهناك من يرى أن الثقافة تتجلى في الشخصية القومية بمعنى أنه يمكننا الحديث عن ثقافة قومية باعتبارها "الأساليب التي يعبر بها شعب ما عن شخصيته ، والطرق الخاصة التي يتم بها تصرفه إزاء الظاهرات الإنسانية والروحية والطبيعية".[١٨]

ويرى بعض الباحثين أن الثقافة عامل توحيد قوي إذا تكاملت عناصرها وتوحدت مفرداتها في السقف الشامل للمفهوم . وفي هذا السياق قال ساطع الحصري :" أضمنوا لي وحدة الثقافة ، وأنا أضمن لكم كل ما بقي من ضروب الوحدة". [١٩] وقد انطلق الحصري في ذلك ليس من نزعته المثالية الثقافوية بل من رؤية أكثر عقلانية وواقعية .

يقول الرئيس علي عزت بيجو فيتش رئيس جمهورية البوسنة والهرسك:

" الحضارة هي التغيير المستمر للعالم ، والحضارة هي فن العمل والسيطرة وصناعة الأشياء صناعة دقيقة. إن حامل الثقافة هو الإنسان، وحامل الحضارة هو المجتمع، ومعنى الثقافة القوة الذاتية التي تكتسب بالتنشئة، أما الحضارة فهي قوة على الطبيعة عن طريق العلم، ووسائل الحضارة هي الفكر واللغة والكتابة. "[٢٠]

وذات الوظيفة العلمية والتغييرية للحضارة أشار إليها ابن خلدون في القرن الثامن الهجري حيث يقول: " هي سر الله في حصول العلم والصنائع." ويرد ابن خلدون ازدهار الحضارة في المناطق الإسلامية التي ازدهرت فيها في القرن الخامس عشر الميلادي " إلى وجود " حصة من العلوم والصنائع لا تنكر."

وهنالك من يرى أن الحضارة هي حصيلة الجهد الإنساني في العمل والإبداع ... والحضارة الإسلامية تنبع من عقيدة التوحيد ، وتفيض عن رسالة الإسلام ، وتكتب سماتها الخاصة من روح هذا الدين.[٢١]

<u>ثانياً</u>: مفهوم الثقافة الإسلامية:-

إذن الثقافة هي أسلوب حياة الأمة . وهذا الأسلوب يحدده عند الأمم الأخرى تراثها الفكري والحضاري. أما عند المسلمين يحدده الإسلام لأن الإسلام في حقيقته منهج حياة متكامل. "ومحور ثقافة الأمة هو الإسلام في عقائده وأخلاقه وطرائقه في السلوك والاقتصاد والسياسة والاجتماع والتشريع." [٢٢]

لكل ثقافة أصولها ومنابعها. فأصول الثقافة الغربية ترجع إلى الكتابين السماويين المحرفين؛ التوراة والإنجيل، وإلى القانون الروماني، وجهود العلماء الأوربيين، والتاريخ الأوربي. أما أصول الثقافة الإسلامية فهي الوحي الإلهي الذي يتمثل في الكتاب والسنة.

إن تأصيل الثقافة الإسلامية يعني ردها إلى هذه المصادر الأساسية – القرآن والسنة. وهذا يعني أن يشكل هذا المصدر المنطلق الأساسي للثقافة الإسلامية وأن تقوم كل عناصر الثقافة على التصور الإسلامي وأن يتم تكييف أدوات الثقافة في العصر الحديث على هذا النسق من البناء المعرفي والتصور الإسلامي.

إن هذا المنطلق الأساسي للثقافة – الوحي – " يعيد صياغة الفرد في معتقداته وأفكاره ويزكيه ويطهره، وينشئ العلائق والروابط، ويؤسس الصرح الذي يقوم عليه بناء الأمة."[٢٣]

إن النص القرآني وسيرة الرسول ومنهجه ينبغي أن يشكلا الإطار الذي يحكم ثقافة الأمة الإسلامية ويقوّمها ويوجهها إلي غاياتها. ومن أهم غايات الثقافة الإسلامية تحقيق العبودية لله في أسلوب حياتنا (في ثقافتنا). كما تهدف الثقافة الإسلامية إلى بناء العقل الإنساني بناءً سليماً. وتنقية العقل من التشوهات التي نتجت من المبادئ الضالة والانحرافات العقائدية. ومن غايات الثقافة الإسلامية التأكيد على الإيمان الصادق العميق والانتماء لأمة الفكرة والعقيدة بدلاً عن العصبيات القبلية والعنصرية التي تمزق الشعوب. فجاء الإسلام ليقول للناس : أصلكم واحد ، وأبوكم وأحد ، وربكم واحد ، ودينكم واحد ، فالتفاضل بينكم بالتقوى، لا باللون أو الجنس. [٢٤]

تهدف الثقافة الإسلامية إلى محاربة الباطل وتدعو إلى العدل والحق ومحاربة الكفر والضلال . وتسعى الثقافة الإسلامية لاستعمار الأرض . فالثقافة الإسلامية ينبغي أن تحمل قيم الإسلام . ومن قيم الإسلام الحث على العمل والإنتاج وإعمار الأرض (هُوَ أنشَأكمُ مِن الأرض واستعمركم فيها) :(سورة هود:٦١).

كما تسعى الثقافة الإسلامية إلى تنزيل المبادئ الإسلامية كالحرية والمساواة والإخاء إلى أرض الواقع بأن نتمثلها في سلوكنا ونعيشها في حياتنا. كذلك أن نتمثل الأخلاق الإسلامية فهي "الضابط الأعظم في حياة الفرد وحياة الأمة." [٢٥]

يرى بعض الباحثين أن الثقافة الإسلامية أصابها الانحراف عن المصادر الأصلية ، فتعددت مصادر التلقي واختلطت الفلسفة وعلم الكلام بالعقيدة الإسلامية وانقسمت الأمة إلى سنة وشيعة وخوارج ومرتجئة ومعتزلة: ونتج عن ذلك حروب أدت إلى سفك الدماء واختلاف في المناهج والسبل . كما أصاب المفاهيم الإسلامية انحرافات أدت إلى انحراف مسار الفرد والأمة. "فالتوكل أصبح تواكلاً، والإيمان بالقدر أصبح عجزاً وقعوداً عن العمل، والزهد أصبح خمولاً وقعوداً عن الجهاد والعبادة رهبنة وانقطاع عن الحياة، وذكر الله أصبح همهمات وتمايلاً ورقصاً وفقداناً للعقل في حلقات الذكر".[٢٦] كذلك أصاب الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي التعصب المذهبي والجمود الفكري ، وقلّ العلم وقتل الإبداع وتفشي الجهل وانتشرت البدع والخرافات وانعكست كل هذه الانحرافات على صورة الإسلام والمسلمين. وأعاقت الاجتهاد والإبداع وأضعفت الأمة الإسلامية ومزقت وحدتها فأصبحت فريسة للغزو الفكري والاستلاب الثقافي والهيمنة السياسية والاحتلال العسكري وتأثير الاستشراق ثم إزالة الخلافة والتبعية.

هذا الوضع أفرز حالة من الضياع للأمة الإسلامية فبدأت مسيرة البحث عن الذات وبرز الحديث عن أزمة الهوية ومحاربة الغزو الثقافي وصد الإمبريالية الثقافية . وفي هذا السياق تأتي أهمية التأصيل الثقافي لبعث الثقافة الإسلامية وتجديد منابعها الصافية وإبراز خصائصها المميزة بأنها ذات صبغة إلهية " صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة" : (سورة البقرة ، الآية (١٣٨) .

وتتسم الثقافة الإسلامية بأتساع آفاقها بعكس الثقافات الأخرى التي يعيش أفرادها في إطار ضيق من الحياة الدنيا .وهي ثقافات محدودة بالفكر البشري وبالنظرة القومية والعنصرية الضيقة، وبالفلسفات المادية الملحدة، وبالنظريات الرأسمالية الفاسدة .

تتسم الثقافة الإسلامية بالعالمية والشمول والكمال والتوازن وذلك "لأنها تقوم على الدين الإسلامي الذي يتصف بالشمول والكمال [كمال العقيدة وشمول الشريعة] وبالموازنة بين الحقوق والواجبات .. وتتسم بالإيجابية الفاعلة حيث تدعو المسلمين إلى عدم الفساد في الأرض بل السعي لإعمارها. كما تتسم بالواقعية." [٢٧]

بصورة عامة تتضمن الثقافة الإسلامية جملة من "المعارف الشرعية والعلمية والفلسفية واللغوية والأدبية والفنية التي نشأت وتطورت في الأقطار الإسلامية وطبعها الانفتاح الرصين على الثقافات الإنسانية الأخرى والتفاعل معها أخذاً وعطاءً ." [٢٨]

والثقافة الإسلامية ينبغي أن يرتكز عليها مشروعنا النهضوي وأن تشكل حضوراً في تنمية الدولة الإسلامية. ولابد من تنمية الثقافة الإسلامية كجزء من المفهوم الشامل للتنمية. وأهداف التنمية الثقافة هي "تهيئة الظروف الملائمة لإخراج الطاقات الإبداعية الكامنة في نفس الإنسان من حال القول إلى الفعل)." [٢٩]

لا تبقى الثقافة مفاهيم جامدة أو تكراراً مملاً لقوالب نمطية قديمة يعوزها الحركة والحيوية والتطور ومواكبة العصر. لقد بدأت الثقافة الإسلامية بديناميكية وساهمت في تقدم المعارف البشرية وانتشرت الدعوة الإسلامية بسرعة في أقطار آسيا وأفريقيا وحوض البحر المتوسط الشمالي وحثت العقول على السعي لاكتساب المعارف وضبط مناهجها.

وقد ساعد على ذلك الانتشار ما تهيأ للدولة الإسلامية الناشئة من تلاقي وتفاعل شعوب مختلفة الأجناس واللغات والتقاليد انصهرت في بوتقة الإسلام وتشربت بقيمه السامية ومبادئ التوحيد والعدل ومكارم الأخلاق والتسامح والداعية إلى التحلي بالحكمة وطلب المعارف التي تؤدي إلى

صلاح الفرد والمجتمع. وهكذا تمهدت السبل لانتقال الأفكار والمشارب والتقاليد وأنماط العيش والسلوك بين أطراف العالم الإسلامي فاتسعت بفضل ذلك آفاقه البشرية والفكرية وأفضى الأمر إلى نشوء ثقافية إسلامية حية ونامية .[٣٠]

لقد كان دور الإسلام محورياً في تكوين الأمة والثقافة العربية وتحديد هويتها . فالإسلام رسخ العربية ووسعها أفقاً وثقافة ، وكان دوره كبيراً في أن تكون العربية قاعدة العروبة . والعربية لغة التراث ووعاؤه ، والعربية تعريب ، ومنذ القدم كان العرب، واستمروا عبر التاريخ، عاربة ومستعربة. فأسس العروبة ثقافية. والهوية العربية هي هوية ثقافية فالهوية هي ما يشخص الذات ويميزها، والثقافة تعني شؤون الفكر والأدب والفن والقيم.[٣١]

إن مواجهة التحديات الخارجية تبدأ من الداخل، في تعزيز مقومات الهوية الثقافة من لغة وتراث ثقافي وتطويرها وفي الارتفاع بالقاعدة العلمية إلى تطبيع التكنولوجيا.

المبحث الثاني

<u>دور المثقف المسلم في المجتمع:</u>

وصف أحد الكتاب العرب المثقفين المسلمين بأنهم أصبحوا "ركاماً بشرياً فاقداً للوعي عاجزاً عن إدراك ذاته غير قادر على الحركة إلاّ من خلال توجيهات خارجية بعد أن فقد القدرة على التفكير الذاتي."[٣٢]

كما وصف عصام العطار حال المثقفين بأن أغلبهم يمارس حركات بلهاء ، حيث يقفزون من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين، ومن الديمقراطية إلى الدكتاتورية، ومن الدكتاتورية إلى الديمقراطية، ومن الرأسمالية إلى الإشتراكية ومن الإشتراكية إلى الرأسمالية، ومن التبعية الأجنبية إلى الاستقلال الوطني ،ومن الاستقلال الوطني إلى التبعية، ومن الشعوبية والقطرية إلى القومية، ومن القومية إلى الشرق أوسطية تبعاً لإختلاف الأنظمة والحكومات والمصالح والمنافع الشخصية على كل صعيد. [٣٣] إن هذا الوضع الذي آل إليه المثقف العربي المسلم أفرز تشوهات انعكس على واقعنا الاجتماعي والسياسي والفكري وفتح الباب على مصراعيه لتيار الغزو الفكري ومهد لعمليات تفكيك البناء الأيديولوجي في العالم الإسلامي فتحولت أصوله إلى جزئيات لا تقيم تصوراً متكاملاً؛ وأحدث شرخاً في العقل المسلم . وهذا

يستدعي عملية تأصيلية تقوم بإعادة البناء وإعادة التماسك الأيديولوجي وتعيد صياغة العقل المسلم حتى تعود له القدرة على التصور الإسلامي المتكامل.

إن تحقيق العملية التأصيلية في المجال الثقافي تستلزم وجود المثقف المسلم الملتزم . والالتزام يقوم على الإيمان بالقضية وإدراك الرسالة والوعي بالدور والاستقلال الذاتي في الموقف والرؤية. حيث ينبغي أن يتحدد موقف المثقف بمعيار الحق والموضوعية وأن تنطلق رؤيته من التصور الإسلامي. إن توافر مثل هذه الخصائص في المثقف تشكل الأساس للنقلة التصورية الإعتقادية لنقل المثقف من تلك الحالة – حالة التسطيح الفكري والتقلب في المواقف وعدم الثبات على المبدأ لضعف العمل الديني وغياب البعد الرسالي وانعدام الالتزام الأخلاقي. لذلك لتأصيل الموقف نفسه ينبغي أن يكون المثقف تقياً ، لأن التقوى "هي الطاقة الفذة التي تشعل مصباح الضمير فيظل متألقاً متوهجاً حتى يغيب الإنسان في التراب مادام يشعر في كل عصب وجارحة وخلية أن الله يراقبه وهو يمارس هذا العمل أو ذاك. "[٣٤]؛ أو يتخذ هذا الموقف أو ذاك.

وإذا كان المجتمع العربي المسلم يعاني من أزمات ومشكلات فإن من أهم أسباب تلك الأزمات والمشكلات هو الجهل والتخلف من ناحية ، والانفصام عن الأصالة و التراث الإسلامي من ناحية أخرى ، فإن المثقف هو أهم أدوات استئصال الجهل ومحاربة التخلف . وهو أهم القنوات الفاعلة لضخ الوعي وغرس القيم الحضارية في الجماهير . وهو كجزء من النخبة من أقوى المؤثرات على الطبقة الحاكمة.

إن المثقف المطلوب هو من يتمثَّل قيم الإسلام وعناصر الثقافة الإسلامية وأنماط السلوك الرفيعة في المجتمع المسلم ، فيكون هو القدوة في القول والعمل ويقوم بوظيفة التنوير؛ وهو الذي يلعب دوراً تربوياً وتعبوياً. فهو الذي يستنهض الجماهير نحو التغيير، ويمثل نبراساً يهتدي به الشعب في مسيرته الحضارية . والمثقف بهذا الشمول يعول عليه لحمل لواء التغيير والتطور في المجتمع وهو الذي يعبر عن نبض الجماهير وحركة المجتمع وصيرورته. وبهذا الفهم ينبغي النظر لدور المثقف في المجتمع المسلم.

المثقف هو جزء من النخبة (Elite) وقادة الرأي – نخبة مؤثرة في المجتمع وليس نخبة بالمعني السلبي– "صفوة منعزلة عن الجماهير." بل أن ما يميزه هو الوعي وما يعطيه الوزن والقيمة في المجتمع هو درجة تفاعله مع الجماهير والتعبير عن آرائها وتطلعاتها . وبذلك التأثير وبتلك الفاعلية والتفاعل يستطيع المثقف أن يبني له مركزاً اجتماعياً مرموقاً . ويمكنه بحكم موقعه

وهيبته في المجتمع أن يطرح أمام الجمهور آراء ينظر إليها باعتبارها نماذج يجب أن تحتذى وتحترم . ومن خلال وسائل الاتصال الجماهيري يستطيع المثقف وكجزء من قادة الرأي " أن يطرح أمام جماهير مجتمعه القيم والاتجاهات الجديدة ويساهم في تكوين صور قومية للمجتمعات الأخرى لدى الجماهير وفي صياغة القيم والتفضيلات والأهداف ليتبناها الآخرون.''[٣٥]

ويتمتع المثقف بالقدرة على الإقناع والاستمالة والتحريض والتعبئة ، وهو يساهم في تشكيل الرأي العام. ولكن تتوقف مساهمة المثقفين هذه على " تماسكهم وموقف النخبة الحاكمة منهم ، واتجاهاتهم إزاء الحياة السياسية ، وقضايا المجتمع ، هذا فضلاً عن خلفياتهم المهنية ، والاجتماعية والتعليمية". [٣٦]

والمثقف قد يؤدي دوراً أساسياً في الحياة السياسية ويتولى عملية التنظير والتخطيط لحركات ثورية أو لبرامج وآيديولوجيات وشعارات ومبادئ تهدف لتطوير المجتمع . وهو لذلك لابد أن يعي دوره وطبيعة المرحلة التي يمر بها مجتمعه ليستوعب معطيات الواقع ويساهم في التحول وتوجيه التغيير حتى لا تستوعبه المتغيرات الداخلية أو يذوب في الأفكار الغازية . كما أن وضع المثقف يفرض عليه عدم التنكر لثقافته الوطنية وأن لا يقتلع نفسه من بيئته وما تمثله من توقعات وآراء وإتجاهات ، فالثقافة العصرية لا تلغي ثقافة الأجداد أو التراث . ولكن الملاحظ أن المثقف في العالم الثالث يخضع لعمليات تسييس بحكم واقع هذه المجتمعات التي تمر بفترة انتقالية ، هي فترة تحولات من التقليدية إلى الحداثة والعصرنة.

ولكي يؤدي المثقف دوره في المجتمع العربي المسلم نتوقع منه أن يكون ملتزماً بخدمة قضايا وطنه. " ويفترض في المثقفين أن يمثلوا القوة الاجتماعية الأساسية في المجتمع العربي المسلم المعنية بمقاومة الجهل والأمية والخرافة في الكيان الاجتماعي ، ونشر وتوزيع المعرفة والفكر في أوساط الناس ." [٣٧] وهو دور يجري إنجازه من خلال التكوين والتوعية لا من خلال الهتافات والتعبئة الشعاراتية وغيرها من وسائل الاستنهاض السياسي التي تفتقر للمضمون الفكري أو البرنامج الثقافي الموضوعي.

وللمثقف العربي المسلم رسالة اجتماعية وحضارية – عقائدية ينبغي أن يتصدى لها بكل الوعي والمسؤولية وأن لا يتقاعس عن هذا التكليف التاريخي. والملاحظ أن الدور الذي يؤديه المثقف في الوطن العربي وسائر البلدان النامية في العالم ليس قوياً أو فاعلاً وتحده بعض المعوقات مثل عدم توافر النظام الديمقراطي وغياب مؤسسات المجتمع المدني . ومجتمعنا

العربي في حاجة ملحة إلى المثقف المستقل المستنير. " والمثقف الحر غير الخاضع وغير التابع قد يسهم بآرائه النقدية إسهاماً كبيراً في تبيان الطريق السياسي والقومي الصحيح ، وفي تبيان الآثار الوخيمة التي تسببها بعض السياسات ، وفي ردع السياسيين عن القيام بمغامرات ، وفي تقليل احتمالات ارتكاب السياسيين للأخطاء، ومدى إصغاء السياسيين لأفكاره واستفادتهم من هذه الأفكار يتوقف على عوامل مختلفة منها: مدى الوزن الذي يعطيه السياسيون لهذه الأفكار ومدى تقديرهم لدور الثقافة والمثقفين " [٣٨]؛ وكذلك عقلية السياسي ومدى وعيه بأهمية الأخذ بأفكار المثقفين . وفي هذا الإطار فإن الواقع السياسي للوطن العربي يكشف عن حاجة كبيرة للمثقف الملتزم ، المستقل والجريء لتوجيه النظام السياسي والمساهمة بآرائه في البناء الوطني وفي التوعية والتنوير. أن دور المثقف في الدولة وعلاقته بالسلطة يعتمد على نوع تأييد المثقف للسلطة وطبيعة السلطة ذاتها ، إذ يجب أن يكون موقفه متسما بالنزاهة والعقلانية والموضوعية بحيث لا ينبغي أن يمارس المثقف التنظير للسلطة بازدواجية – يبرز الإنجازات ويتجاهل الإخفاقات – فهناك فارق بين واعظ السلطان ومهرج السلطان. وكم بائسة السلطة التي ترحب بمن يكون عبءً عليها لا بمن يكون عوناً لها. [٣٩] وما أكثر الفئة الأولى في واقعنا العربي .

لذلك فان الحالة المثلى للعلاقة بين المثقف والسلطة هو أن تكون بينهما دوما مسافة ما ولا ضرر في أن تكون هناك جسور بينهما شريطة الاحتفاظ بالمسافة وان تضمن السلطة للمثقف حريته وكرامته وان يتصرف المثقف من واقع المسؤولية وبقصد الرؤية الواضحة والواعية للحاضر والمستقبل. إن جوهر الثقافة في علاقتها مع السلطة ينبغي أن تؤسس على الموقف النقدي وليس التبريري .[٤٠]

والحديث حول دور المثقف في المجتمع العربي ينطوي على دور المثقف في المجتمع المسلم . والإسلام يعطي بعداً آخر للمثقف في المجتمع المسلم بحيث يضحي دوره رسالياً. ولكن ينبغي أن نضع في الاعتبار أن المثقف العربي بوصفه مسلما عليه أن يتمثل الثقافة الإسلامية – العربية . وهذه الثقافة تواجه عدة عقبات و إشكاليات .'' وهذه الإشكاليات ليس اقلها الإشكاليات الثقافية التي تتبرعم عنها سلسلة من الإشكاليات العضوية الأخرى على مختلف الصعد: الحركية والسياسية والاجتماعية ، إلا أن الكثير من العاملين في حقل التبليغ والدعوة لم يتمكنوا من إدراك تضاريس الواقع وأبعاد الحياة بشكل دقيق، ولذلك واجهت خطواتهم مشكلات مفاجئه لم يتحسبو

لها". [٤١] لذلك ينبغي أن نقرأ الواقع قراءة واعية ، قراءة لا يغيب عنها الماضي. وهي قراءة ينبغي أن تكون قادرة على تفعيل العناصر الديناميكية في التراث واستلهامها كطاقة قادرة على تحريك الحاضر على أساس سليم ومتجذر لا تقتلعه رياح الإمبريالية الثقافية.

إن الركيزة الأساسية لهذه القراءة تقوم على " استيعاب التراث حيث لا يمكن تجاوز الإشكاليات الحضارية المرتبطة بالهوية والثقافة والتجديد والتحديث والتمييز الحضاري والأصالة والمعاصرة إلا باستنطاق هذا التراث وبناء الخطاب الإسلامي في ضوء معطياته وتحديد نظام الأفكار على أساسه وإنتاج الثقافة الإسلامية بعد تشرب ، وتمثل ذلك الكّل المركب." [٤٢] ولكن هذا لا يعني تحنيط هذا التراث ، بل المقصود هو عدم إغفال الثقافة التراثية أو إقصائها. لقد أصبح المثقف المسلم يخوض حرباً فكرية شرسة خاصة بعد انهيار النظام الشيوعي حيث وجه الغرب أسلحته الأيديولوجية والدعائية ضد ما توهمه العدو الجديد أو العدو "الأخضر" المتمثل في الإسلام بعد موت العدو الأحمر (الشيوعية) واستبعاد أن يشكل العدو "الأصفر" (النمور الآسيوية) أية خطر ثقافي يدير صراعاً حضارياً مع الغرب.

المبحث الثالث

الغزو الثقافي

منذ انطلاقة الإسلام الأولى احتدم الصدام بين الإسلام والغرب (بيزنطة آنذاك) ، وساد بينهما الحقد والكراهية إلى عصرنا الحالي. وبانفجار المد الإمبريالي في المرحلة الاستعمارية دخل الغرب معترك العالم الإسلامي، فمزق خريطته ؛ ووضع له حدوداً مصطنعة، وجزأ شعوبه وثقافاته، وبعد أن نهب خيراته بدأ في "تغريبه" ومحو هويته. "ومن جزر الفلبين – كما يقول جان بول رو – إلى قلب إفريقيا، عمل الرجل الأبيض على بسط سيطرته على الرجل المسلم، وفرض عليه مفاهيمه في الوجود، وطرق معيشته وتفكيره ومخططاته " [٤٣]

لقد ظلت دراسات الغرب عن الإسلام أسيرة للرؤية الأوربية وهي رؤية عدائية تصف المسلمين بالهمجية والعنف والتعصب .وهي دراسات تنطلق من المركزية الأوربية فأصبح الغرب "يقرأ الحضارة العربية الإسلامية من خلال منطق حضارته وتجربته ونماذجه . ورغم أنه يمتلك المنهجية العلمية الموضوعية، ولكنه كان يقرأ الإسلام من خارج الإسلام ، وهو في الآن ذاته يعمل على تفتيت الوحدة الإسلامية وتغريب المسلمين." [٤٤]

ذكر على عزت بيجو فيتش في كتابه " الإسلام بين الشرق والغرب" : أن عداء الغرب الحالي للإسلام ليس مجرد امتداداً للعداء التلقيدي والصراع الحضاري المسلح بين الإسلام والغرب، منذ الحملات الصليبية، وإنما يرجع لتجربته التاريخية الخاصة مع الدين، وإلى عجزه عن فهم الإسلام لسببين جوهريين ، وهما طبيعة العقل الأوربي (أحادي النظرة) ، وإلى قصور اللغات الأوربية عن استيعاب المصطلحات الإسلامية ." [٤٥]

إن الغزو الثقافي يستهدف خرق نسيج المجتمع المسلم وذلك بتدمير بنائه الأخلاقي وتشويه عقيدته. وهذا الغزو الثقافي قد طبع العصر الحديث بطابع الصراع الحضاري وحرب الأفكار خاصة باستغلال وسائل الإعلام الحديثة كأداة فاعلة في هذه الحرب الجديدة . يقول صمويل هنتنجتون :"إن العالم ينتقل من الصراع السياسي . الأيديولوجي الذي كان أساس الحرب الباردة إلى الصراع الثقافي الذي يشكل أساس الحضارات" . ويبرر ذلك القول : "إن ما يهم الشعوب ليس المصالح الاقتصادية أو السياسية بل ما يهمها هو الإيمان والعائلة والدم والمعتقد ... وهذا ما يميز الشعوب عن بعضها ويدفعها للقتال وللموت. من أجل ذلك فإن صراع الحضارات سوف يحل محل الحرب الباردة كظاهرة مركزية في السياسة الدولية."[٤٦]

إن من سنن الحياة الصراع: الصراع بين الخير والشر وبين الحق والباطل. والإسلام أمر بمصارعة الباطل في النفس الإنسانية وفي داخل المجتمع المسلم. كما أمر بمصارعة الباطل في معاقله وهي مجتمعات الشرك والكفر. "كان الإسلام ديناً زاحفاً يهاجم الجاهلية في معاقلها، وكانت ثقافته ثقافة زاحفة أيضاً ، وقد كان تأثير الإسلام وثقافته في العالم كله تأثيراً كبيراً. وكان هم كثير من الأمم كاليهودية والنصرانية والمجوسية حماية مجتمعاتهم من هذا الدين الآسر الزاحف ، ثم حاولوا مهاجمة الإسلام ... ولكن المسلمين ردوهم على أعقابهم في الحروب الصليبية. "[٤٧] وساد حكم الكنيسة في الغرب وكان رجال الدين النصراني يمارسون هيمنة على المجتمعات النصرانية باسم الدين. والملاحظ أن الثقافة الغربية أهملت الروح ... أخذت تناصب الإسلام العداء والكراهية والحقد . وبدأ الغربيون يسخرون من الإسلام بشتى الطرق واستغلوا المنظمات العالمية لحرب الإسلام.

إن الحقد والكراهية هي التي توجّه العالم الغربي الذي يخشى أن يتجمع المسلمون على الإسلام فيعود المارد الذي كان يقف في وجه مطامعهم . فلذلك يحاربون الإسلام بكل سبيل . ولذلك عندما انتصر الصليبيون على تركيا في الحرب العالمية الأولى أشترط الغرب أربعة شروط

على الخلافة وهي شروط (كرزون) وهي : أن تقطع تركيا علاقتها بالإسلام ؛ أن تلغى الخلافة ؛ أن تتعهد بإخماد كل حركة يقوم أنصارها على الخلافة ؛ وأن تختار تركيا لنفسها دستوراً مدنياً بدلاً من الدستور العثماني المستمد من الشريعة الإسلامية. [٤٨]

إذن هدف الغرب من خلال هذه الشروط – على آخر معاقل الخلافة الإسلامية – 'علمنة' الدولة الإسلامية . ولتحقيق ذلك عمل حكام تركيا الموالون للغرب على تغيير الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية ، ومنعوا الكتابة بالعربية ، ومنعوا الآذان وألزموا الشعب بلبس القبعة الأوربية . وفي بقية الدول الإسلامية أقصى الحكام الشريعة الإسلامية وتبنوا قوانين وضعية وانتشر الفساد وغاب الدين عن الدولة فأصبح مَّد الثقافة الغربية طاغياً ومن آثاره:"عزل الإسلام عن قيادة المجتمعات الإسلامية ؛ والتمزق الثقافي والافتتان بالحضارة المادية الغربية ؛ وفقدان الذات وضياع معالم الشخصية الإسلامية ، وانتشار الإلحاد في صفوف المسلمين؛ والفهم الخاطئ للإسلام ..." [٤٩]

واتخذ الغرب وسائل عديدة في الغزو الفكري والثقافي للعالم الإسلامي ومن ذلك ادعاء الغرب بعالمية ثقافته وهي دعوة تبطن في جوهرها سيادة الثقافة الغربية ، وصهر الثقافات الإسلامية في بوتقة الثقافة الأوربية ، والادعاء بأن التمدن والتحضر هو تبني نمط الحياة التي يعيشها العالم الغربي. كذلك كان من وسائل الغزو " إفساد التعليم الديني وتكريه المسلمين بالإسلام بطرق مختلفة مثل تهميش معلم الدين الإسلامي وتقليل حصص الدين وأرسلوا الطلبة النابهين للدراسة بالغرب، وجعل لغة التدريس هي اللغة الإنجليزية ، وفتحوا المدارس التبشيرية وحاولوا تنصير المسلمين، ونشطت حركات الاستشراق. كما زرعوا النزعة القومية في العالم العربي فنادى العرب بالقومية العربية والأتراك بالتركية الطورانية، والأكراد بالكردية وبذلك تفسخت عرى الرابطة الإسلامية.'''[٥٠] ومن وسائل الغرب للغزو والاختراق إفساد المرأة فدعوها للسفور والتبرج بزعم التحضر واستغل الغرب في ذلك وسائل الإعلام لتشويه الإسلام ونشر ثقافة الغرب في العالم العربي الإسلامي. واستهدف الغرب بالغزو الفكري " نقل المسلمين من قيم فكرهم وعقائدهم وارتباطاتهم النفسية والروحية والاجتماعية إلى عقائد الغرب وفكره وقيمه." [٥١] وهو ما أطلق عليه التغريب (westernization) .

إن الهدف هو تغيير العقلية والنفسية الإسلامية وتهيأتها للتغريب والتنصير والتبعية الكاملة للغرب بعد طمس هويتها وتغيير الشخصية الإسلامية . غير أن أكثر وسائل الغزو تأثيراً في الماضي وأمتد تأثيره في الحاضر هو الاستشراق .

حول تعريف كلمة الاستشراق يقول المستشرق الألماني (البرت ديتريش): "إن كلمة مستشرق هي كلمة حديثة تعني ذلك الباحث الذي يسعى إلى دراسة الشرق وتفهمه ، ولكي يتسنى له ذلك يتوجب عليه دراسة اللغات الشرقية وإتقانها." [٥٢]

ويقول رودي باريت أن بداية الدراسات العربية والإسلامية في أوربا ترجع إلى القرن الثاني عشر .ففي عام ١١٤٣ تمت ترجمة القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية بتوجيه من الأب (بيتروس فينير بيليس) رئيس دير كلوني وكان ذلك على أرض أسبانية. وفي تلك الفترة كذلك وضع أول قاموس عربي لاتيني .[٥٣]

ولاشك في أن الاستعمار الأوربي استفاد كثيراً من حركة الإستشراق في التعرف على واقع العالم الإسلامي وعلى رسالة الإسلام وتاريخ المسلمين وهذا ساعد على اكتشاف نقاط الضعف ومراكز القوة وعلى الوعي التاريخي.[٥٤]

لقد تعرض العالم الإسلامي لحركة استعمارية ضخمة ومنظمة منذ القرن الحادي عشر حيث بدأت الحملات الصليبية في عام ١٠٩٥م وتواصلت ما يقارب ١٥٠ عاماً . وقد أعلن هذه الحرب البابا ومجلس الكنيسة تحت شعار تحرير بيت المقدس من المسلمين . ثم جاءت مرحلة تالية من الغزو الاستعماري للعالم الإسلامي بواسطة المغول (وهم من قبيلة التتر) في جنوبي سيبيريا بقيادة جنكيز خان . ويقال أن الصليبين قد تحالفوا مع المغول وشجعوهم على غزو ومحاربة العالم الإسلامي وتدمير الحضارة الإسلامية. فقاد جنكيز خان جيش يزيد على (٧٠٠٠٠) مقاتل فبدأ بالصين ثم تركستان حتى وصل إلى عاصمة الخلافة العباسية في بغداد سنة ١٢٥٨م ودمرها تدميراً كلياً وقتلوا (٨٠٠,٠٠٠) إنساناً . ثم تحركوا في عام ١٤٠٠م إلى سوريا وفعلوا فيها ما يقشعر له البدن. ودمروا الحضارة الإسلامية وفقدت الأمة حضارتها وفقدت الثقة في نفسها كما فقدت ثروتها العلمية والأدبية .[٥٥] ثم استمرت الحركة الاستعمارية تجتاح العالم الإسلامي عبر القرون.

ومن خلال الإستشراق ترك الاستعمار – بعد ذهابه – مؤسساته وتلامذته ينشرون أفكاره ويحافظون على ثقافته حية وسط العرب المسلمين. "إن أعظم ما اهتم به المستشرقون في

دراساتهم من الموضوعات، موضوع الشريعة الإسلامية ، ويرجع ذلك إلى أن شبهاتهم التي نشروها– عن طريق التعليم – تدور حول فصل الدين عن الحياة، وإضعاف سلطانه في النفوس. " [٥٦] وتحاول الدراسات الاستشراقية الحديثة التركيز على "أهمية القوانين الوضعية وتطبيقها على المسلمين بدلاً من شريعة القرآن ..." [٥٧] والاستشراق وفر للغرب كل ما يحتاج أن يعرفه عن الشرق وبذلك مهد لحركات التبشير والاستعمار ثم الغزو الثقافي والفكري.

إذن ارتبطت ظاهرة الغزو الثقافي في الماضي بالاستعمار وحركات التبشير والاستشراق . أما اليوم – في عصر المعلوماتية (Informatique) وتقنية الاتصالات الفضائية الحديثة وفي عصر العولمة والإنترنت ، أصبح للغزو آليات جديدة أكثر فاعليه ، وأساليب حديثة أكثر تأثيراً . وهذا يعني أن الأمة الإسلامية موعودة بتحديات جديدة لحضارتها وأزمات عنيفة لثقافتها ومهددات خطيرة لهويتها. ويحدث الغزو الفكري والثقافي في وجود ضعف في الطرف الثاني (مسرح الغزو) . فوجود غزو ثقافي على الوطن العربي يعني وجود ثغرات وجوانب ضعف يتم من خلالها ذلك الغزو . والمعروف أن الأمة العربية عاشت أزمة وجود ، فقد واجهت تحديات وضغوط متواصلة ومستمرة .. وكانت وباستمرار عرضة لخرق ثوابتها المتصلة بالوجود القومي التاريخي ، وهذا الخرق لا يصدر عن النخبة السياسية وحسب وإنما كذلك عن النخبة الثقافية.

أن نقد هذه النخبة يهدف بدرجة رئيسية إلى إظهار وكشف الحقيقة القائلة" بأن نقطة ضعف كل أمة من الأمم ومصدر قوتها أيضاً تكمن في استمرارها في حيز الثقافة". كان هيجل يقول إن الأمة تكون عظيمة أو هامشية بعظمة أو هامشية مثقفيها ومبدعيها ، والأمر ذاته ينطبق علينا نحن العرب المسلمين.[٥٨]

وهنالك من المحللين من يذهب إلى القول بأن التصادم بين الهويات الحضارية أوضح ما يكون بين الغرب والإسلام . وهذا أمر يتصل جزئياً بالتعارض بين القيم العلمانية والقيم الدينية ، وجزئياً بالغيرة من قوة الغرب ؛ وجزئياً بالسخط الناشئ عن السيطرة الغربية على الهياكل السياسية التي ظهرت في الشرق الأوسط في عصر ما بعد الاستعمار ، وجزئياً بالمرارة والمهانة الناشئين عن المقارنة بين إنجازات الحضارتين الإسلامية والغربية خلال القرنين الماضيين. [٥٩] إضافة إلي ذلك الجوار الجغرافي والعداء التاريخي وكذلك الدور السياسي الصريح الذي يلعبه الإسلام في حياة أتباعه. "ويزيد من أهمية هذا التنافس مع الغرب أن الإسلام نفسه ما زال هوية جماعية قوية آخذة في الانتشار. " [٦٠]

والملاحظ أن مثل هذه الحرب الحضارية قد بدأت بالفعل ويمكن أن نلمس ذلك من الحملة الإعلامية الضخمة التي يقودها الغرب ضد الإسلام من جهة ، وفي الصورة الحاقدة الساخرة التي ترسمها وسائل الإعلام الغربية لـ (العرب) و(مالك النفط) خصوصاً من جهة أخرى، وفي ربط الإرهاب الدولي بالإسلام والعرب. أضف إلى ذلك الإجراءات المادية التي تجسم وتجسد هذه (الحرب الحضارية) الحقيقية التي تشن على العالم الثالث عموماً ، وعلى العرب والمسلمين خصوصاً ، والتي تتمثل في الحظر المفروض على نقل التقانة إليهم بينما التدفق الإعلامي من الشمال إلى الجنوب متاحاً بصورة مطلقة . وكذلك تتمثل الحرب الحضارة الباردة في "استنزاف مواردهم الطبيعية ، ومنعهم من امتلاك الأسلحة المتطورة وتكييف أذواقهم وأنماط سلوكهم بواسطة الغزو الإعلامي ، وإرهاقهم بالسلع الاستهلاكية التي تمتص ما قد يحققونه من فائض الإنتاج ."[٦١]

وفي الواقع يمكن الحديث عن أربعة عوامل في الوضع الثقافي الدولي تهدد الثقافة العربية الإسلامية بالاختراق، هذه العوامل هي: الهيمنة الثقافية التي يمارسها الغرب على الصعيد العالمي، التناقض بين عالمية الاقتصاد والسياسة وبين التقوقع داخل الثقافات الفرعية، وانسحاب الصراع الآيدولوجي من الساحة وحلول الاختراق الثقافي محله ، ثم الحرب الباردة الحضارية ضد الإسلام. والاختراق هو اختراق للهوية أساساً. ولحماية الهوية من هذا الاختراق الثقافي يقترح بعض المفكرين ضرورة تحقيق الاستقلال الثقافي، والذي لا يعني العزلة والانغلاق عن الثقافات الأخرى وإنما يعني عدم التبعية لهذه الثقافات ، أي تتفاعل الثقافة العربية مع الثقافات الأخرى دون أن تكون خاضعة أو تابعة لها تبعية ثقافية تنال من الهوية الوطنية والقومية . والتبعية الثقافية والاختراق الثقافي ليس خطراً على الهوية وحدها بل إنه يستهدف من وراء الهيمنة الثقافية فرض التبعية الاقتصادية والسياسية أيضاً. [٦٢]

إذن نحن أمام أمن ثقافي مهدد. غير أن عملية تحصين هذا الأمن الثقافي ينبغي ألا يعني موقفاً نكوصي من الانفتاح الثقافي؛ فالفارق واضح وكبير بين الغزو الثقافي وبين الانفتاح أو التثاقف. ولقد بات هذا الغزو يفرض نفسه اليوم من خلال عملية الاختراق الإعلامي الشامل الذي أطاح بالسيادة الثقافية التقليدية للمجتمعات إلي الحد الذي أمتنع عن أي رد ممكن. [٦٣] وهنا يتضاعف دور المثقف العربي في حماية السيادة الثقافية وعلى الدولة أن توفر له المناخ الديمقراطي والبنية التحتية للإطلاع بهذا الدور.

ومن واجب المثقف والسياسي والمبدع والكاتب في الوطن العربي أن يقاوم أي مساع أو محاولات من السلطة لتقليص دوره أو إضعافه لأن دور المثقف لا ينتظر سبقاً أو تصريحاً أو موافقة من السلطات والحكومات وإنما يفرض نفسه فرضاً . وبالطبع ربما يكلف ذلك المثقف الكثير من المتاعب والأعباء والمعارك والتضحيات وهذا طبيعي في عالمنا العربي . وعلى المثقف العربي المسلم ألا ينسحب من المعركة لأن تلك هي رسالته في الحياة وألا يستسلم للضغوط التي تستهدف تهميشه واستبعاده من المشاركة بفاعلية في الحياة السياسية والثقافية ، من جانب ، وأن يتصدى لرياح الغزو الثقافي ومحاولات الاستلاب الفكري من جانب آخر.

المبحث الرابع

أزمة المثقف العربي المسلم

الأزمة هي حالة طارئة يمر بها المجتمع الانتقالي مثل الانتقال من التقليد إلى الحداثة. وارتبطت أزمة المجتمعات العربية المسلمة بحالة التغريب المفروضة من الغرب على أساس أن الحضارة الأوربية هي الأكثر تقدماً وحداثة، وأن ما عداها يسير في مراحل مختلفة عنها[٦٤] ؛ ومن ثم لا بد من أن يسلك الآخرون الطريق نفسه، ويسيروا صوب الهدف نفسه.

ومنذ أن بدأت الحركة الاستعمارية الحديثة في عام ١٥٠٠ بدأت المجتمعات المتخلفة تعيش في حالة أزمة – أزمة بناء الدولة وما يتفرع منها من أزمات على مختلف المستويات وفي مختلف الصعد. وقد حدد لوسيان باي (Lucian Pye) أزمات ست: أزمة الهوية ، وأزمة الشرعية، وأزمة التغلغل، وأزمة المشاركة ، وأزمة التكامل ، وأزمة التوزيع. [٦٥]

وبسبب الإستشراق ومحاولات التغريب ظهرت أزمة ثقافية وفكرية في المجتمع المسلم ، حيث تصادم القديم مع الجديد واضطربت الرؤى والمفاهيم . وقد كان للاستشراق أثر كبير في خلق أزمة المثقفين المحدثين في العالم الإسلامي وذلك " من خلال تطبيق مناهجه في مدارس وجامعات العالم الإسلامي ومؤسساته الثقافية الإسلامية ، ومن خلال تلمذة عشرات الألوف من الطلبة مباشرة على أيدي المستشرقين في الجامعات الغربية ، ومن خلال الاحتكاك الثقافي بين العالم الإسلامي والمجتمعات الغربية." [٦٦]

وقد أدى المنهج الإستشراقي غير الموضوعي إلى تشويه التراث الثقافي والحضاري للأمة الإسلامية . ولدوافع دينية وسياسية أتجه المستشرقون إلى "تشويه حقيقة الفلسفة الإسلامية

، وإنكار أي دور للعقل المسلم في تطوير الفكر الفلسفي... من خلال إنكار دور القرآن في نهضة الفلسفة والثقافة الإسلامية وكأنها انعكاسا أو محاكاة للفلسفة اليونانية." [٦٧] بينما الإسلام أشمل وأسمى من الفلسفة لأن المعرفة الإسلامية مصدرها الوحي بينما الفلسفة هي من اجتهاد العقل البشري وهي عاجزة عن إدراك الحقيقة الكاملة.

وللخروج من هذه الحالة لابد من عملية تأصيلية تستلهم من التراث الإسلامي منطلقات الفلسفة الإسلامية القويمة وتبرز أهمية التراث هنا باعتباره نتاج المسيرة الحضارية للأمة من علوم ومعارف ومؤسسات وفنون وقيم وفكر ولكن ينبغي التعامل مع التراث بعقل ناقد لتمييز الحي منه مما كان دوره مؤقتاً . وهو يحتاج إلى تحليل وتقييم وإلي نظرة جديدة . نظرة تأصيلية تنطلق من التصور الإسلامي مستصحبة مقتضيات العصر الحديث وتحدياته.

هذه النظرة التأصيلية ضرورة لأزمة لمواجهة تحدي الغزو الثقافي ولمعالجة الأزمة النفسية الناتجة من حالة الانبهار والصدمة الحضارية للعالم الإسلامي. والموقف من التراث هنا لا يعني الاحتماء بالتاريخ أو الاستغراق في عملية الفخر والاعتزاز بالآباء والأجداد ودورهم التاريخي وإسهاماتهم المبدعة في مجال الحضارة والثقافة والعلوم بل يعني " الارتكاز إلى الماضي والتزود منه لتغيير الواقع وصناعة المستقبل." [٦٨] إن جزءاً من عوامل الأزمة يتمثل في الخلط المفهومي حيث جعلنا مفهوم التراث أو الأصالة مقابل مفهوم المعاصرة ، بينما " الحقيقة البادهة أن لا معاصرة دون أصالة ، ولا أصالة صادقة دون معاصرة فاعلة... " [٦٩]

ومن عوامل الأزمة الثقافية نجد الازدواجية الثقافية التي نشأت من حركات التحديث منذ القرن التاسع عشر إذ أدخلنا التعليم الحديث وأهملنا التعليم الإسلامي الموروث. لذا تكوَّن خطان من التعليم ونوعان من النخبة [٧٠] : نخبة تنحاز إلى التراث وتسمى أحياناً تقليدية (traditional elite) ونخبة تنحاز إلي التحديث وتسمى النخبة الحديثة (modernized). وضاعفت هذه الازدواجية من أزمة الثقافة العربية – الإسلامية فضلاً عن المكونات الأخرى للأزمة مثل الإستشراق والاستعمار وإهمال الدين كمنهج حياة. كما أهملنا اللغة العربية – لغة القرآن وحامل التراث الإسلامي. وهناك من يرى أن اتخاذ اللغة العربية " وسيطاً للخطاب المعرفي يمثل أهم دعائم التأصيل، وهو ما نسميه التعريب." [٧١]

ومع الاعتراف بأن أحد عوامل الأزمة الثقافية التي يعيشها المجتمع المسلم هي الغزو الثقافي الغربي أو الحداثة والتغريب ، لا بد من الاستدراك بأن الثقافة الغربية هي نفسها مأزومة.

فهي تعاني من "تآكل المبادئ العلوية والقيمية للعقل الغربي والثقافة الحداثية ، ونتيجة مباشرة لجهود حركة العلمنة الغربية التي أدت إلى القضاء على دوافع الالتزام الأخلاقي وتغييب المسؤولية الكلية للإنسان باستبعاد مفهومي الله واليوم الآخر ." [٧٢] وبذات العيوب انتقل تأثيرها للنخبة العربية المسلمة. وهذه الثقافة الغربية المهترئة تعيش أزمة عقلانية نتيجة " لتغييب المبادئ العقلية العلوية والقيمية ... ولم تعد العقلنة .. الثقافية في التجربة الغربية متكاملة، بل أضحت مجموعة من العمليات المستقلة المتغايرة. فالعقلنة في الدائرة الاقتصادية أو القانونية أو الإدارية تسير في اتجاهات مختلفة وفق مبادئ مختلفة ، بحيث فقدت التصورات الدينية والمبادئ الأخلاقية قدراتها التوحيدية ، وعجزت بالتالي عن تزويد الخبرة الإنسانية الحديثة بمعنى شامل أو غاية متكاملة." [٧٣] إن مظاهر الانحلال الخلقي و التفكك الاجتماعي في الغرب ليست سوى نتيجة لازمة " لتفتت الوعي الحداثي وانقسامه لدوائر قيميه مستقلة لا يربطها رابط ، وفقدان الحياة الإنسانية لأي معنى كلي شامل وافتقارها لأي هدف متعال عن وجودها الحسبي ورغبتها الآنية، وبالتالي استسلامها للنزعات العدمية والبهيمية ، واستغراقها في الاغتراب الروحي والنفسي." [٧٤]

بالإضافة إلى الغزو الثقافي الخارجي يعاني المثقف العربي المسلم من أزمة داخليه أخرى وهي تسلط السياسة على الثقافة أو تهميش السياسة للثقافة .ولكي يقوم المثقف المسلم بعملية التأصيل ينبغي أن نحرره من هيمنة السياسة وطغيانها. وإذا غابت الحرية انسحب المثقف من الحياة العامة . سواء كان المثقف متديناً أو علمانياً فهو يحقق غياباً لصالح السياسي . فصاحب الثقافة الإسلامية والتراثية يعيش زمان أمجاد وفتوحات وعدالة لا يعود ، وصاحب الثقافة العلمانية والغربية يعيش زماناً من التقدم والرفاه والتحرر لن يأتي ؛ فيما يستنزف السياسي اللحظة الراهنة بأنانية وانتهازية مختصراً المجتمع بذاته ولذاته. [٧٥] وأمام غياب المثقف وانقطاعه عن السياسة يصبح ملحاً إحياء مفهوم (المثقف العضوي) الملتصق بهموم المجتمع الملتزم بقضاياه.

وتمثل أزمة المثقف والثقافة إحدى الأزمات المتعددة التي يعيشها المجتمع العربي المسلم حتى أن الخطاب العربي تميز في السنوات الأخيرة بالحديث عن وجود أزمة في البنيان العربي ولا يخلو أي خطاب سياسي أو اقتصادي اجتماعي أو أدبي من كلمة (أزمة). ولكن يرى البعض أن الحديث عن وجود أزمة هو ظاهرة صحية وهو اعتراف بحالة الواقع ويمثل بداية للتفكير الجاد

لمخاطبة الأزمة في محاولة لحلها. وهناك شبه إجماع على أن التجربة العربية شرقاً وغرباً قد "بان عجزها في مسايرة تطورات العصر وتعرضت لهزائم متلاحقة ولم تستطع أن تصمد أمام تحديات العصر ، وظل الفكر الناتج عنها يجتر أفكار الإصلاح والثورة والتنمية والحداثة والأصالة والتراث دون فعالية ودون أن يتمكن من أن يكون فاعلاً في مجريات السياسة اليومية مما يقوده إلي مجاراة واقع الإهتراء والتدهور." [٧٦]

إن الحديث عن أزمة المثقف العربي يرتبط بالحديث عن العقل العربي المعاصر وهو إلى حد كبير امتداد " للعقل الذي أفرزته ثقافة الانحطاط في القرون المتأخرة ، ونتاج جهود المؤسسات التعليمية و التثقيفية التي ارتأت أن تعيد بناء العقل العربي المعاصر عبر عمليات استرجاع غير منهجي للتراث العربي التليد أو استعارة غير نقدية للثقافة الغربية السائدة . إنه العقل الذي "عجز عن المحافظة على العلو السامق الذي رفعه إليه القرآن الكريم وهدي النبوة ، فتخلى عن القيم السامية .. وتخلى هو بعد ذلك عن مهمة البحث المنهجي لينكفئ أخيراً على ذاته." [٧٧] أو يتبين النتاج الفكري و المحتوى القيمي لثقافات تشكلت خارج ظروفه وبيئته وعقيدته ومرجعيته.

كذلك تكمن أزمة المثقفين العرب – المسلمين اليوم في أن كثيراً منهم يخلط بين المعاصرة والاستلاب أو الغزو الثقافي .فأصبحنا نستسلم دون وعي لعمليات التغريب المختلفة ، باعتبار أن ذلك "معاصرة" وهي خدعة من الغرب الذي يماثل بين المعاصرة وقيمه (أي قيم الغرب) ، وما غيرها (كالثقافة الإسلامية) خارج إطار المعاصرة. وبذلك تحول " العصر من عصر زماني إلي قيمة ثقافية وحضارية يتبلور عليها مفهوم الأمة". [٧٨] وهنا يرتبط مفهوم تأصيل الثقافة ارتباطاً وثيقاً بالهوية . وقد أستغل الفكر الغربي مصطلح المعاصرة بهذا الفهم كأداة لتفتيت هوية العالم الإسلامي بين معاصرين ورجعيين متخلفين ، وصارت " المعاصرة" ''بديلاً مرجعياً للأصل الذي قامت عليه الجماعة المسلمة''. [٧٩] ويرجع هذا الاستسلام الثقافي إلي أن الهزيمة العسكرية للعرب أمام الغرب أدت إلي هزيمة فكرية بحيث أصبح الفكر الغربي يمثل إطاراً مرجعياً جديداً للمثقف العربي – المسلم.

وتظهر أزمتنا الحقيقة في عدم فهمنا لواقعنا وهو ما يبعدنا عن مفهومية الأزمة في سياقها الحضاري ، "ماذا حدث بعد إشاعة الأفكار الإصلاحية للطهطاوي ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني وخير الدين التونسي وقاسم أمين وطه حسين وغيرهم؟ وهل أحدثت آراؤهم

تفاعلات فيما بعد؟ هل إستطاعت أن تخلق فكراً تجديدياً ، ومدارس ومذاهب تؤثر في الأجيال اللاحقة؟" [٨٠] يلاحظ البعض أن هذا الفكر وعلى الرغم من قيمته التنويرية ومساهمته في النهضة العربية إلا أنه انطفأ بسرعة ، ربما لظروف خارجية ضاغطة مثل نشاط حركة التبشير والاستعمار والإستشراق . أو للظروف الداخلية المتمثلة في عقلية الاحتكار – احتكار الأفكار واحتكار السلطة وما ينتج عن ذلك من إقصاء للطاقات الوطنية . وهنا تمكن عمق أزمة الواقع العربي . لذلك لجأت فئات عريضة من المثقفين إلي خطاب التراث – وإلى الخطاب الديني لتجد فيه عزاءها الوحيد بل بالأحرى هو مخرجها الوحيد . وهناك من يذهب إلي القول بأن ما يعاني منه الفكر العربي ومنذ عصر النهضة هو أنه يعمل ويمارس في غياب مؤسسات المجتمع المدني وغياب الدولة الحديثة مما يغيّب كل أوجه الممارسة السياسية على قاعدة علم سياسي متعارف عليه مما يجعل الأحكام قائمة على المزاج ، وبعيدة عن المعرفة العقلانية . وهنا يكمن الفارق المعرفي ما بيننا وبين أوربا ، الدولة المتجددة التي استطاعت أن تؤسس معرفة علمية نمت بداخلها أيديولوجيات متنوعة ومتفاوتة وأحياناً إلي حد التناقض ، دون أن تشكل اهتزازاً أو مساساً بسيادة الدولة وسيادة الفرد وسيادة القانون.[٨١]

ومصدر آخر من مصادر أزمة الثقافة العربية هو الثنائية أو الازدواجية في الثقافة الوطنية. فهناك ثقافة الجماهير وثقافة النخبة، وثنائية في داخل الثقافة بين جانبها المادي والروحي، وثنائية بين التقليدي والعصري أو ثقافة البادية وثقافة المدينة – حيث تحتفظ ثقافة البدو بطابعها التقليدي الوطني المنحدر من القرون الوسطى، أما الثانية فهي ثقافة المدينة التي قلدت الثقافة الغربية في مختلف مجالات الحياة المادية والمعنوية حيث أصبحت هناك هوة كبيرة تفصل بين الثقافتين. ومن هنا جاء الصراع داخل الثقافة العربية المسلمة.[٨٢] ويلزمنا الأمر توحيد الثقافتين بربطهما بالثقافة الإسلامية. ولم تجد الثقافة الملتزمة (من خلال القصيدة والأغنية والمسرح) المناخ الملائم للنجاح. وأصيب معظم أصحابها باليأس وسادت الثقافة والتي أسهمت وسائل الإعلام في تكريسها. كذلك يواجه المثقف في الوطن العربي خيارات صعبة، وأصعب هذه الخيارات هي أن يتعاون مع دولة معزولة عن المجتمع المدني وعن عقيدته ، ودولة متسلطة ولكنها تعاني من خوف دائم لأن هوة كبيرة تفصل بينها وبين الناس ، وبالتالي هي ناقصة الشرعية وتطلب من المثقفين أن يتحولوا إلى متعاونين ومؤيدين ليبرروا انحرافها.[٨٣] إن على المثقف المسلم في العالم العربي أن يكون مستقلاً يملك حساً نقدياً واعياً واستقلالاً فكرياً (يتجاوز

الأيديولوجيات) ، وهي شروط أساسية لمن يريد أن يحقق حلماً ثقافياً ذا صبغة ثورية تمردية [٨٤] يسعى لاسترداد ثقافته الأصلية.

ويلاحظ المفكر الباكستاني إقبال أحمد أن مثقفي العالم الثالث غير منظمين على الإطلاق ولا توجد بنية تنظيمية أو نشاطات مشتركة تجمعهم فكل منهم يعيش في عزلة عن الآخر ولا يهتم إلا بشأنه الخاص . المشكلة إنهم في غالبيتهم يساريون ، واليسار في العالم النامي ليس له تعريف محدد أو واضح ، إنما هو مجموعة خطوط تصل في اختلافاتها الاصطناعية إلي حد التنافر والتناحر، لأن كل خط تحول إلي مذهب يهدر أصحابه الوقت والجهد في الدفاع عنه دون الاهتمام بالبحث عن الحقيقة . إن أحد السموم المريعة التي يعاني منها مثقفونا اليوم هو الانقسام اللامتناهي داخل الفئة الواحدة إضافة إليه الاقتراب والالتصاق بالسلطة. [٨٥] لذلك أصبحت السلطة العربية لا ترى في المثقف العربي أكثر من ميكرفون ينقل فكرها ويبرر أخطاءها . والمثقف لم يعد مؤسسة بل فرد يعبر عن نفسه وعن فكره في الصحف والكتب دون أن يفترض أنه يخاطب الجماهير أو أنه ينتظر منها ردة فعل . ويبدو أن الدولة العربية لا تريد للمثقف أن يكون أكثر من ما هو فيه : أن يبقى بعيداً ومنزوياً حتى لا يسبب لها القلاقل بفكره وأطروحته التي قد لا تؤيد السلطة ولا تدعم توجهها.

كذلك تعاني الثقافة العربية من أزمة انسداد الآفاق بحيث أصبحت لا تري أكثر من تلك القوالب الجاهزة . وهو تراجع نشأ بتراجع الحامل أو الوعاء الاجتماعي للثقافة العربية حيث كانت الطبقة الوسطى هي حاملة الثقافة واستطاعت هذه الفئة الوسطى في ظل الازدهار أن تكسب خصوصية مركزة . لكن ما حدث مؤخر ، هو أن الثقافة العربية تمت إعادة بنائها وفق احتياجات الإمبريالية ، بعد أن كانت الفئات الوسطى قد مارست دوراً مميزاً على الصعيد الثقافي والسياسي . وهي حالة تعيشها معظم البلدان العربية وبلدان الدول النامية حيث أصيبت الثقافة بتصدع مع تصدع حاملها الاجتماعي – الفئات الوسطى.[٨٦] وقد امتد تأثيرها للمجتمع ككل بحكم تأثير الطبقة الوسطى في المجتمعات الانتقالية.

وانعكس ذلك أيضاً على مستوي المثقف العربي الفرد الذي أصبح يعيش حالة من الفقر والحرمان والبؤس . وافتقد المثقف المعاصر الجذور الاجتماعية الراسخة النابعة من حاجات طبقات أو فئات اجتماعية قادرة أن تفرض إشراكه في صناعة القرار . وبسبب ذلك انسحبت شرائح واسعة من المثقفين من الاشتغال بقضايا المجتمع والسياسة ، وتحول المثقف إلي مثقف

تقني يعمل بمهنته أو يكتفي بوصف الظواهر وصفاً وضيعاً دون الانفعال بها أو لعب دور سياسي أو اجتماعي هو في صميم وظيفته كمثقف.[٨٧] ويعتقد أحد الكتاب العرب (برهان غليون) أن دور المثقف الطليعي والثوري والرسالي قد انتهي ، بينما ينحي آخرون بالملائمة على المثقف نفسه باعتبار أن من واجبه التصدي لا الهروب من الواقع أو الابتعاد عن دوره وإذا أصَّلنا لحركة الفكر لوجدنا أن الإسلام يعطي ذلك البعد الرسالي المفقود أهمية في دور المثقف الطليعي.

من المؤسف أن الثقافة العربية الإسلامية التي وجدت نفسها تعيش في أزمة أخذت تبحث عن حلول من الخارج . (تبحث عن حامل جديد تتم إعادة بنائه) . وهذه المسألة تتعلق بجدلية السلطة والثقافة إذ عندما وصلت الفئات الوسطى إلى السلطة تركت مشروعها الثقافي الذي ظلت تدافع عنه وركزت على مشروعها السياسي وفقدت الرؤية السياسية، والنضج الثقافي، وقد ساهمت السلطة السياسية في المجتمع العربي في تجزئة المشروع الثقافي وبذلك أصبحنا أمام بنيات متعددة منها ما يسمى بالثقافة السلطوية ، ومنها ما يسمى بالثقافة الفئوية والثقافة الشعبية.[٨٨]

كذلك هنالك إشكالية التجزئة على مستوي الثقافة العربية. وهذه التجزئة تمثل ثغرة أخرى ظهرت بصورة جلية مع تنامي القطرية والإقليمية وشيوع ثقافة التفتت والتشرذم وحالة كهذه تحول دون بناء إدراك عربي سليم يستنفر طاقات الأمة ويستثير همتها ، وبدلاً من أن نتطلع إلي مستقبل مشرف للأمة فإننا نصبح أسرى مستنفع القطرية والجهوية فيتخلخل لدينا الانتماء وتغدو أقطارنا معرضة للضياع وفريسة سهلة للغير.[٨٩]

هذا التشرذم الثقافي وصفه الكاتب فهمي هويدي بأنه (حروب أهلية ثقافية) بسبب تعدد المذاهب والمدارس الفكرية والفقهية فهناك الشيعة والسنة والسلفية والمتصوفة والأصولية والتيار الإسلامي الحديث. وهذا التفتت الثقافي يضعف عملية التكامل الثقافي ويهز البناء الحضاري للأمة العربية الإسلامية ويجعلها سهلة الاختراق الثقافي وفريسة للغزو الفكري ؛ "ولا نبالغ إذا قلنا أن قيم مجتمعاتنا ونمط حياتنا يمكن أن تتأثر سلباً إذا لم نعزز حصانتنا ودفاعاتنا بحيث تتمكن تلك المجتمعات من التعامل مع الهجمة الثقافية الغربية بثبات ، ودون أن يختل توازنها."[٩٠]

نخلص إلى القول بأن المثقف العربي المسلم يعيش في أزمة وكذا ثقافتنا. وترتبط بهذه الأزمة الثقافية أزمة هوية إذ لا زالت الأجيال العربية الحالية تبحث عن ذاتها ولازالت تحاول أن تتلمس ملامح هويتها . وما يزيد من تفاقم هذه الأزمة في الثقافة والهوية والفكر هو كثافة الغزو

الفكري الغربي الذي استقوى بثورة تكنولوجيا المعلومات والإنترنت" ومما يزيد من خطر الهجمة هو هشاشة البناء الثقافي لمجتمعنا وضعف التماسك القومي خاصة في ظل النظام الدولي الجديد والعولمة (Globalization). وقد دخلت العولمة الحياة الاجتماعية بشكل فعلي في الإطار الثقافي عن طريق شبكات الأقمار الصناعية. والتكنولوجيا في حد ذاتها محايدة ولكن يتم توظيفها في إطار العولمة لنشر ثقافة الغرب . وقد تعرض العالم الإسلامي للاختراق بتوظيف هذه التكنولوجيا وأخذت وسائل الإعلام الغربي تلعب دوراً في محاولة قلب نظام القيم في المجتمع المسلم. والجانب الخطر في هذه الثورة التكنولوجية هو محاولة تأثيرها على نظام القيم ." وأصبحت هذه الثورة العلمية الجديدة طاقة منفلتة توظف في اتجاه إرضاء الرغبات الطبيعية الغريزية للإنسان ، ومن هنا يكون الخوف على مستقبل الثقافة،"[٩١] إذا لم تتجذر في نظامها العقائدي ولم تتحصن ضد مخاطر تكنولوجيا الاتصال المهيمنة والمنفتحة. و لا يتأتى هذا التحصين إلا بتوافر رؤية تأصيلية تهدف إلى تحقيق الإستغلال المنهجي وإعادة بناء العقل المسلم لينطلق من التصور الإسلامي الشامل.

وفي ظل الثورة التكنولوجية الحديثة تتطور الأشياء بسرعة مذهلة .." وهذه السرعة الخارقة التي أصبحت تتطور بها الأشياء تترك أمام شعوب العالم اختياراً واحداً ، إما الإندماج في صيرورة التطور وبناء القوة الذاتية أو البقاء في دائرة التخلف .وهذا الاختيار الثاني يلغي قيمة كل حديث عن الهوية والأصالة و الشخصية الوطنية .

وهنا تطرح أزمة الهوية نفسها في هذا السياق ، إذ أنه في ظل ثورة الاتصال المتعاظمة وأجواء هشاشة البيئة الاجتماعية و الثقافية فإن هوية مجتمعاتنا العربية والإسلامية تغدو في خطر كبير أمام اتساع نطاق الاختراق الثقافي الذي تعددت وسائله وقنواته وله بريق وجاذبية إلى حد الانبهار. ومواجهة هذه الأزمة " في الثقافة والهوية يستلزم بعض الوعي بالتحدي والوعي بقدرات الذات وإدراك شمولية منهج الإسلام لعلاج الأزمة ومواجهة التحدي.

ويواجه المثقف العربي المسلم أزمة متعددة، فهناك غياب الرؤية الحضارية المستقلة والموحدة في ذات الوقت. فعالمنا العربي تتنازع نخبه مدرسة غربية ومدرسة تعبر عن الانتماء العربي – الإسلامي الذي يشكل ركيزة هوية الأمة واستقلالها . لذلك يجب علينا أن نتفق على النموذج الحضاري الذي نتطلع إليه " هل هو الغرب أم الإسلام؟

يشكل الموقف من الغرب تحدياً للمثقف العربي: هل الغرب مثل أعلى يتعين احتذاؤه وتكريس الجهد للحاق به ، أم أنه تجربة إنسانية غنية يؤخذ منها ويرد.؟''[٩٢]

من الضروري أن تحسم النخبة قضيتها وتحدد موقفها وتبلور رؤيتها في خضم هذه التحديات الحضارية التي تهدد هويتها. غير أن ذلك لا يتأتى إلا بالارتكاز إلى الثقافة الأم والأصل (العربية – الإسلامية) وأن يتم التحاور بوعي مع الثقافة الأجنبية .. وعلى المثقف العربي أن يساهم بوعي وفاعليه في بناء العقل العربي لأن أزمة المثقف وقضية الوطن العربي هي قضية " العقل". فينبغي للمثقف للخروج من الأزمة الفكرية ومواجهة التحديات الثقافية أن يساهم في بناء عقلية عربية مسلمة مستنيرة وواعية وأصيلة. وأن يجعل من قضية العقل العربي القضية الحضارية الأولى لأنها القضية التي تتوقف عليها مواجهتنا لجميع قضايانا المصيرية مواجهة قويمة؛ "فعقلنا هو الذي يوفر لنا الإدراك الحقيقي للمعطيات الفعلية لعملية تقرير المصير .. ولذلك فإننا لا نثير قضية تحديث العقل العربي إثارة نظرية بل إثارة تطبيقية وظيفية قوامها وعي الصلة الحركية العضوية بين الفكر والحياة ، وبين المفهوم والسلوك .. لذلك فإننا ندعو للثورة الثقافية أن تحرك روحنا وكياننا تحريكاً إبداعياً جديداً .. وندعو العقل العربي للتحول من صناعة الكلمات إلى صناعة الأشياء.."[٩٣]

والمدخل السليم لهذا المنهج هو التأصيل في الموقف وفي الرؤية . يجب ألا نتناول القضايا الداخلية برؤية غربية وأن نكف عن استلهام الأطر الأجنبية في حل مشكلاتنا العربية فهي أُطر صنعت لظروف مختلفة وبيئة مختلفة وإن استيرادها لتطبيقها قد يفضي إلى التناقضات التي تنتهي إلى الفشل الذي أدى إلى إحباط الأجيال العربية المتلاحقة ووضعها على مفترق الطرق . وكانت المحصلة النهائية هي هذه الأزمة الحادة.

المبحث الخامس

تأصيل أدوات الثقافة:-

إذا كانت الثقافة تقوم على عناصر محددة تتمثل في القيم والمعتقدات وأنماط السلوك الرفيعة والعادات والتقاليد والفنون ، يمكن القول أن الثقافة تتجلى بصورة حية نابضة في الفنون والآداب لدرجة أن كلمة مثقف ارتبطت في ذهن العامة بالأديب والفنان والروائي والشاعر

والمسرحي ونحو ذلك . لذلك يمكن في مقاربة تطبيقية أو مدخلاً لعملية تأصيل الثقافة بصورة تلامس الواقع بصورة مباشرة .

إذا أخذنا مثلاً الفنان الغنائي أو الممثل المسرحي أو السينمائي أو التلفزيوني نجد أن هذه الفئات لها تأثيرها المباشر في الجماهير ولها – من خلال الإعلام – دورها الفاعل في تشكيل الرأي العام وغرس القيم ونشر الثقافة وسط الشعب. فهؤلاء النجوم، لهم ألقهم وجاذبيتهم ولهم قدرة سحرية في أسر قلوب الجماهير وتوجيه عقولها وتوليد اتجاهاتها . لذلك يجوز القول بأن الفن هو أداة نافذة في حفظ الثقافة حية ونشر قيم الثقافة وتطويرها وحمايتها. وإذا أردنا أن نؤصل للثقافة الإسلامية علينا أن نبحث في كيفية تأصيل الفنون .

وهنا تبرز أسئلة محددة: هل يمكن الحديث عن 'فن إسلامي'؟ وهل يمكن أسلمة الفن ، أو تأصيل الفن؟

الفنون هي مجموعة المهارات البشرية على اختلاف ألوانها ؛ أو كل "ما أستبعده العلم من دائرته بوصفه مهارة عملية أو صناعة تطبيقية أو إنتاجاً مهنياً."[٩٤]

الأصل الاشتقاقي لكلمة فن (Techne) باليونانية ، و Ars باللاتينية تعني " النشاط الصناعي النافع بصفة عامة. فلم يكن لفظ (الفن) عند اليونانيين (مثلاً) قاصراً على الشعر والنحت والموسيقى والغناء وغيرها من الفنون الجميلة ، بل أيضاً كانت تشمل الصناعات المهنية كالتجارة والحدادة والبناء وغيرها من مظاهر النشاط الصناعي." [٩٥]

المعاجم الإنجليزية لا زالت تنص على المدلول الحضاري لكلمة (فن) بوصفه نشاطاً يهدف إلي غايات عقلية ثقافية دون أن يكون له طابع علمي مهني.

وقد عَّرف أحد الباحثين الفن بأنه " القدرة على توليد الجمال، أو المهارة في استحداث متعه جمالية." [٩٦]

والفن نشاط تلقائي حر ، في حين أن المهنة صناعية مأجوره تهدف إلي المنفعة وترمي إلي الكسب ، '' وليس من شأن الفنان أن ينتقل بنا إلى عالم خيالي لا شأن له بالتجربة الحسية . وإنما تنحصر مهمة الفنان على وجه التحديد في عملية تحويل المحسوس [الخام] إلي [محسوس إستطيقي Aesthetic]."[٩٧] – أي الجمالي . ولولا الفن لبقيت الأشياء على ما هي عليه . ولكن الأشياء قد اندرجت في عالم تجربتنا الجمالية فكان من ذلك أن أكتسب المحسوس

صيغة إنسانية وأصبح هو ذلك (الموضوع) الذي يعبر عن وحدة "الكوني" والوجودي على حد تعبير هيجل."[٩٨]

إن الحديث عن الفن والدين يبدو وكأنما يجمع بين ضدين أو متناقضين :''فالأديان بحث عن الحقيقة ، والفن عن الجمال . والأديان تحرص على الأخلاق ، والفن يكره القيود كلها بما فيها قيود الأخلاق.. ذلك فهم ضيق للدين والفن على السواء." [٩٩]

والفن الإسلامي ليس هو الذي يتحدث عن الإسلام بصورة مباشرة أو يقوم على الوعظ المباشر أو الحديث عن الفقه والعقيدة بصورة مجردة ، إنما الفن الذي ''يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود. هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان."[١٠٠]

إن الفن في عصرنا الحالي ارتبط بالخلاعة والابتذال والمظاهر الفاضحة . الرؤية التأصيلية المطلوبة هنا ليست هي الرفض الكامل للفن بل هي أن نُقبِل على الفن من زاوية التصور الإسلامي.تقول القاعدة الفقهية إن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد نص بالتحريم . والتحريم لا يكون إلا بنص من كتاب الله، أو ببيان من رسوله (ص). كما أن الأحكام الاجتهادية لا توصف بالحلال والحرام إنما توصف بالحظر والإباحة. [١٠١]

والتحريم قد لا يقع في الأمر نفسه بل فيما يتعلق به . فمثلاً اللبس الفاضح حرام ؛ الكلام الفاجر حرام ؛ النظرة الخائنة حرام. "فالتحريم هنا ليس في اللبس ولا في الكلام ولا في النظر بل فيما يتعلق بها. إذن التحريم ليس في أصل الأشياء بل في الأجزاء المنحرفة عن أصولها. وهذا التحريم الجزئي لا يستدعي تحريم الأصل أي الكساء ولا الكلام ولا النظر . وعلى هذه القاعدة يتم القياس في الفن حيث لا يكون الحرام في الفن عامة بل المحرم هو المنحرف من الفن سلوكياً وعقائدياً."[١٠٢]

وليس الإسلام ضد الفن ولا ضد التعبير بأدوات الفن وأشكاله المختلفة بل الإسلام ضد الانحراف السلوكي والعقائدي. وليس هناك إطلاق في الفن ؛ فليس هناك تحريم مطلق. ولا إباحة مطلقة. فالجمال هو الأصل وما القبح إلا سلب له وجزء منحرف منه. والحق هو الأصل والباطل جزء منحرف عنه وكذلك الخير والشر. واقتضت الحكمة أن يُعرف الشيء بضده. فلابد من وجود قبح وباطل وشر لمعرفة الجمال والحق والخير." لم يتخذ القرآن الكريم موقفاً معادياً من الفن بل قيَّد ذلك بالنيات والغايات. وقد استثنى القرآن النحت و التماثيل في بعض الحالات."[١٠٣]

فمثلاً في حالة النبي عيسى قد أجاز الله له أن يصنع تماثيل للطير من الطين كمعجزة إلهية وليست لعبادة وثنية (... أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله) [آل عمران :٤٩] . وفي حالة النبي سليمان عليه السلام :(يعملون له ما يشاء من محارب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات أعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور. [سبأ:١٣] . لكن بصورة عامة قد مال الفن الإسلامي "نحو الزخرفة التجريدية المنسابة بحثاً عن المطلق واللانهائي."(١٠٤)

وقد حرم الإسلام الفن الذي استخدم في الدعوة للوثنية والإباحية ونُبِذَ التصوير التجسيمي لأن فيه تشبيهاً وتعظيماً لأنفس لا تملك لنفسها شيئاً . والتمثال المقدس فيه إهدار لكرامة الإنسان.

ولذلك يمكن القول أن الفن المحّرم هو الفن الهابط والمستخدم في الانحراف السلوكي والعقائدي . وقس على ذلك "تحريم رقص مائع وخلوة آثمة واختلاط عابث وصورة فاضحة وتمثال عارٍ ومظاهر خليعة وأدب مكشوف وشعر منحرف ومسرح عابث وغناء فاحش وأفلام جنسية ..."(١٠٥)

إن تأصيل الفن أن نتخذه طريقاً للعبادة وتحقيقاً لإنسانية الإنسان والسمو بسلوكه . والفن هو "تنغيم الحياة لتجد النفس البشرية طمأنينتها باستبعاد الشاذ وذلك في محاولة لإيجاد وإظهار الجمال وتذوقه ."(١٠٦)

وهذا المدخل في التصور الإسلامي للفن يمكن تطبيقه في كافة أدوات الثقافة وأشكال الفنون.

(أ) الجمال في التصور الإسلامي:-

الجمال –كما يقول المفكر محمد قطب – سمة بارزة من سمات هذا الوجود . وقد وهب الله موهبة للإنسان لإدراك الجمال بداهة بحاسة في باطن النفس تفطن الجمال وتحسسه وتستجيب له ، "تدركه على طريقة الروح في الإدراك لا على طريقة الذهن ذي الأبعاد والمقاييس. " (١٠٧)

وقد يبدو للبعض هنالك تناقض بين الدين والفن لكن بعمق التأمل يزيل التناقض. الدين يسعى للحق ، والفن يسعى للجمال والحق هو قمة الجمال . وينبثق العمل الفني في نفس الفنان من خلال التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان.

إن الفنان يتأمل. والتأمل في الكون باتساق مجراته ونسق فصوله وتواتر ليله ونهاره وشمسه ونجومه وقمره وفي النباتات الرائعة والطيور الجميلة الزاهية والنظام المذهل في دقته كلها تقوم المتأمل إلى صورة جمالية ، إلي تحفة فنية . والتأمل هنا موجود في الدين ويحض عليه القرآن الكريم:

(إن في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماءٍ فأحيا به الأرض بعد موتها، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون [البقرة:١٦٤].

وقوله تعالى:

(فلينظر الإنسان إلي طعامه، إنا صببنا الماء صبًّا، ثم شققنا الأرض شقًّا، فأنبتانا فيها حباً وعنباً وقضبا، وزيتوناً ونخلا، وحدائق غلبا، وفاكهة وأبًّا، متاعاً لكم ولإنعامكم) [سورة عبس : الآيات ٢٤-٣٢]. "وهكذا يوقظ القرآن الحس لآيات الله في الكون وفي النفس ، ليعيش متفتحاً لها حفياً بها، محساً بعظمتها ... شاعراً بالقدرة القادرة من وراء كل آية ، واليد المبدعة من وراء كل تدبير ، ومن ثم تتوجه الروح إلي الخالق ، تسبح بحمده ..."[١٠٨]

والكون كله بكل مكوناته يسير في نسق جميل لا يضطرب ولا يختل (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر و لا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) [يس :٣٨-٤٠]. والكون هو منبثقا من قدرة الله ، وهو في التصور الإسلامي شيء جميل حي متحرك. فالسماء مزينة بالمصابيح " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح " [سورة الملك "٥]

وبالتأمل العميق نجد جماليات التعبير في آيات القرآن الكريم ؛ ويستخدم القرآن الكثير من مفردات الفن والتصوير الدقيق الجميل ففيه من البديع والسجع والبيان الساحر، وفيه موسيقى داخلية يتذوقها الإنسان بإحساسه المرهف ويعيش معها بكل عواطفه . ومن مفردات القرآن (زينا) . والتعبير بالزينة تعبير يوحي بأن خالق الكون قد قصد في خلقه أن يجعله جميلاً . وأن الجمال جزء من بنية الكون أصيل.[١٠٩]

ويوجه القرآن الإنسان للنظر إلى الجمال وأن يدرك الجمال بما أودعه الله فيه من ذوق وإحساس . فالكون مليء بالآيات والدلالات والإيحاءات. والجمال الموجود في الكون نعمة ذات دلالة ومغزى. أن الكون كله يتناغم في إيقاع جميل ، مصدره هذا النسق البديع من إبداع الخالق

المبدع المريد، الفعال لما يريد. وهذا النظام الكوني المنسجم في أجزائه يتسم بالدقة والتناسق والتوازن والترابط ، وخفة الحركة رغم ثقل الأوزان . "يتسم الكون بدقة عجيبة ، مذهلة ، دقة مضبوطة بسرعة فائقة هي سرعة الشعاع الذي ينطلق بسرعة ١٨٦,٠٠٠ ميل في الثانية ! فهو يشتمل على بلايين البلايين من النجوم ، كلها متحركة دون أن يصطدم نجم بآخر ، وهي دقة معجزة لا يقدر عليها غير مبدع الكون الواحد الفرد."(١١٠)

إن التناسق في المجموعة الشمسية بتركيبها الدقيق والتوازن بين الكواكب والترابط بين الأجرام وخفة الحركة كلها تشكل سمات الجمال في الكون وهي ذاتها سمات الجمال في هذه الأرض وفي حياة الإنسان " ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت . فارجع البصر هل ترى من فطور؟" [سورة الملك:٣]

إن الكون والحياة مليئة بالصور الجميلة من إبداع الخالق. ونقرأ مع محمد قطب قراءة متعمقة في هذا الإبداع الإلهي: "هذه الريشة البديعة في جناح الطائر ، منسقة الألوان دقيقة التركيب ... هذا الجدول الرقراق .. والنهر المتدفق .. والبحر المتلاطم. هذه الهدأة في الليل الساكن.. والصبح إذا تنفس من هدأته .. كلها جميلة بديعة الجمال وكلها جارية على ناموس الجمال في الكون الكبير: الدقة والتناسق التوازن . والترابط. والحركة والانطلاق." (١١١)

والإنسان يكون جميلاً إذا تناغم مع هذا النسق من الجمال في الكون في النظام والدقة والتوازن. فالفوضى المنفلتة من كل قيد ليست جمالاً . حين ينفلت الإنسان من كل قيد اجتماعي أو اقتصادي أو إنساني ينطلق يستجيب لكل هوى في نفسه وكل نازعة فإنه من ناحية لا يعود إنساناً، ولأن الإنسان ذو قوة ضابطة يستخدمها بوعيه وإرادته لتنسيق الحياة الإنسانية وإشاعة التوازن فيها؛ ذلك التوازن الذي يقتضي ألا تصطدم أهواء الناس ، ولا يتفكك المجتمع وينحل نتيجة لشرود كل واحد من أفراده على هواه . ومن ناحية يكون خارجاً عن ناموس الكون الذي لا تشرد أفلاكه على هواها ... وحين يتسبب الإنسان في إفساد توازن المجتمع الاقتصادي أو السياسي أو الخلقي ، فيشيع الفاحشة الاقتصادية بتركيز الثروة هنا وسلبها من هناك ، أو الفاحشة السياسية بإقامة الطغيان في الأرض وإذلال الضعفاء ، أو الفاحشة الخلقية بنشر الجريمة والدعوة إليها . فهو في كل حالة من هذه الحالات غير جميل.. (١١٢)

وللإنسان الحق في أن يتذوق الجمال ويتمتع به – جمال الطبيعة وجمال الأجساد وجمال الجنس ولكن بنظام – أي بضوابط الشرع . و ينبغي أن لا نسرف في تعاطي الجمال أو نستغرق

في الجمال الحسي فيقل العطاء وننصرف عن العمل المثمر أو نهدر كل طاقتنا فيه على حساب العبادة .'' ومن هنا تصبح الفنون "الجسدية" كلها إسرافاً في التعبير، وخللاً يفسد الجمال الأكبر في حياة الإنسان: الرقص .. النحت .. والصور العارية... الشعر المكشوف .. والقصة التي تتحدث عن فورات الجسد .. الموسيقي الصافية التي تعبر عن هياج الشوق في الجسد الحيوان .. والسينما العارية التي تعرض خليط من هؤلاء ... كلها إسراف من ناحية تجسيمها للجسد ، وعرضه معرض الفتنة أو معرض للعبادة والتقديس.''(١١٣)

الجمال الجنسي جميل – نعم ولكنه لا ينبغي أن يجاوز مكانه المقدور في لوحة البشرية ولوحة الفنون . والجمال الأكبر المستمد من ناموس الكون ، هو الذي ينبغي أن تمارسه الفنون الإنسانية الرفيعة ، التي تتجاوب تجاوباً صحيحاً مع حقيقة الوجود(١١٤).

وذلك هو الجمال الذي يتصوره الإسلام.

ب/ الموسيقى والرقص والغناء والتصوير:-

كانت الفنون العربية السائدة في الوثنية (الجاهلية) غارقة في الاستمتاع الحسي واللذات الجنسية خاصة .. باستغلال الأرقاء . وكان أشراف القبائل العربية يتنافسون في اقتناء العبيد والجواري ... وكانت أسواق الرقيق تعرض ألواناً من الجواري اللائى يتمتعن بميزات نادرة من الحسن والمهارات الفنية الممتعة من رقص وموسيقى وغناء. وكانت الليالي الماجنة طابعاً مميزاً لدى الأثرياء يتباهون بما يقدم فيها من ألوان الفنون الحسية بين قرع الكئوس وضرب الدفوف. (١١٥)

وكانت ليالي الأفراح ومواكب الزفاف والمواسم والمناسبات "مفعمة بكل ألوان البهجة والمتعة من الرقص الجنسي الخليع المتميز باهتزاز المناطق الثائرة المثيرة من أجساد الراقصات على دقات الطبول والدفوف والعزف على غيرها من الآلات الموسيقية وبمصاحبة الأغاني المنتقاة من شعر الغزل والنسيب."(١١٦)

كذلك التصوير المرتبط بالتجسيم والنحت مكروه وغير مستحب حيث كان هذا الفن التشكيلي سائداً ومباحاً في عهد سليمان ونهى عنه المسيح ومحمد عليهما السلام. ورد عن عائشة رضى الله عنها أنها اشترت "نمرقة" فيها تصاوير ، فقام النبي (ص) بالباب فلم يدخل ، فقالت : أتوب إلى الله مما أذنبت .. قال : ما هذه النمرقة؟ .. قالت : لتجلس عليها وتتوسدها ..

قال: إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة .. يقال لهم أحيوا ما خلقتم وإن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصورة.

ولكن قد يفهم من سياق ما ورد أن التصوير المقصود ليس الصور الفوتغرافية التي لم تكن سائدة آنذاك بل هو التصوير التجسيمي أو المجسم حيث أرتبط بالوثنية وبعبادة الأصنام ، ولكن السؤال الذي يدور حوله الجدل الآن : هل في هذا العصر الذي انتشر فيه الوعي الديني وانتهت فيه الأصنام هل هو أيضاً يقع في دائرة الحرام؟ ولكن هناك من يرى أن الصور الآن تؤخذ للضرورة للأوراق الرسمية مثلاً والتوثيق ونحو ذلك وليس تؤخذ بسبب اللهو أو التبرك بمن ترسم صورته .

أما الرقص فقد قيل أنه طالما أن الإسلام حرم النظر للمرأة فهو لا ريب يحرم تحريماً قاطعاً رقص المرأة لغير بعلها. (١١٧)

(ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن) [سورة النور:٣١]

كما أن الرقص وإظهار مفاتن المرأة يثير الشهوة ويحرك الفتنة – ونحن في السودان نحتاج لتأصيل فنوننا الشعبية – فهناك الكثير من الرقصات الشعبية تقع في الدائرة المحظورة. فهناك رقصات لكثير من قبائل السودان يختلط فيها الرجال بالنساء وفيها ترقص النساء بزي مثير رقصات أكثر إثارة حيث تهتز فيها كل مفاتنها بصورة تثير الشهوة وتدعو للفتنة فلا بد من تنقية هذا التراث الفني..

أما الغناء فلم يرد هناك تحريم واضح له طالما لم يرتبط برقص فاضح يختلط فيه الجنسان:

عن عائشة رضى الله عنها " أن أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدففان وتضربان ، والنبي صلي الله عليه وسلم متغشي بثوبه ، فإنتهرهما أبوبكر ، فكشف النبي الكريم عن وجهه وقال: (دعهما يا أبابكر فإنها أيام عيد).

وقد أورد الغزالي مواقف الإباحة وعوارض السماع في حكمة بالغة تتفق والمضمون الإسلامي نوجزها فيما يلي. (١١٨)

١- غناء الحجيج : وفيه التشويق إلى أداء فريضة الحج.

٢- غناء الغزاة : لتحريض الناس على الغزو ، واستثارة النفس، وتمجيد البطولة والشجاعة .

٣- رجز الشجعان: عند اللقاء في الحرب للتعبئة الروحية ، والاستهانة بالأعداء ، وتمني الاستشهاد.

٤- النياحة: الندم على التقصير في أمور الدين ، والبكاء على الخطايا .. وذلك حثاً على التدارك.

٥- في المناسبات السعيدة: كالغناء في الأعياد والتهليل والتكبير ، وعند أفراح الزفاف ، ووقت قدوم الغائب ، وحين تمام حفظ القرآن ، وعند الولادة والختان. وأكبر دليل على هذا ما حدث في الاستقبال التاريخي للنبي الكريم عند وصوله إلى المدينة مهاجراً من مكة بهذا اللحن الخالد:

طلع البدر علينا *** من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا *** ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا*** جئت بالأمر المطاع

جئت شرفت المدينة *** مرحباً يا خير داع

((عوارض السماع)):

وكما عرضنا أهم ما أورده الإمام الغزالي في الغناء المباح، نعرض أيضاً أهم ما ذكره من عوارض السماع:

١- أن يكون الغناء من إمرأة لا يحل النظر إليها ، ويخشى الفتنة من سماعها.

٢- أن يكون بالشعر شيء من الفحش والهجاء أو الكذب على الله ورسوله ، أو وصف امرأة بعينها ، أما هجاء الكفار وأهل البدع فهو جائز.

٣- أن تكون الشهوة غالبة على المستمع فلا يسمح بوصف الخد والقد...

٤- المواظبة الشديدة على السماع لمجرد التلذذ...وبهذا يتحدد رأي الإسلام في الغناء والموسيقى.

ج/ الشعر والقصة والمسرح:

أولاً الشعر :

الشعر هو قمة البيان . وهو أداة بليغة وفاعلة في التأثير في وجدان وعقل المتلقي والشعراء لهم دور فاعل في التغيير الاجتماعي ونشر الوعي وحفظ التراث والقيم. والشعر الملتزم بالإسلام هو الذي يدعو إلى المعروف وينهى عن المنكر..

وكان الرسول (ص) يستمع إلى الشعر ويطلب الاستزادة منه ومن ذلك ما رواه مسلم من حديث عمر بن الرشيد عن أبيه قال:((ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هل معك شعر أمية بن أبي الصلت شيء .. فقلت : نعم .. قال :هيه فأنشدته بيتاً ...فقال :هيه ...ثم أنشدته بيتاً فقال: هيه .. حتى أنشدته مائة بيت))

كما روى أبو هريرة قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: أصدق كلمة أو أشعر كلمة قالتها العرب قول لبيد:

(ألا كل شيء ما خلا الله باطل)

وكان الرسول (ص) يأمر حسان بن ثابت بالرد على الشعراء المشركين والمنافقين واليهود. ونزلت سورة الشعراء في القرآن وفي ختامها أربع آيات تدين الشعراء : (والُّشعَراء يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُن ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعدِ ما ظُلِمُوا وسَيَعْلَمُ الذين ظلموا أيَّ مُنْقَلَبٍ ينقلبون) –[الشعراء :٢٢٤-٢٢٧].

وفي هذا الاستثناء (إلا الذين...) يندرج الشعراء الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . ينبغي أن يكون الشعراء المسلمون هم من هؤلاء الاستثناء.

ثانياً القصة:-

كذلك نلاحظ أن القصة في القرآن ذات هدف ديني بحت ." فهي مسوقة للموعظة والتربية والتوجيه ، ولكنها مع ذلك تفي بكل مطالب الفن القصصي الخالص."[١١٩]

وأول من قص في مسجد الرسول (ص) هو (تميم الداري) في عهد خلافة عثمان بن عفان "وصورة هذه القصص أن يجلس القاص في المسجد وحوله الناس فيذكرهم بالله ويقص عليهم حكايات وأحاديث وقصصاً عن الأمم السالفة بقصد الترغيب والترهيب."[١٢٠]

فالقرآن يضم القصص التي ورد ذكرها في الكتب السماوية السابقة ، وتأتي قصة آدم في مقدمتها حين كرمه الله وجعله خليفة في الأرض ، ثم قصص هابيل وقابيل وقصة يوسف " نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن .. وأن كنت من قبله لمن الغافلين" [يوسف:٣] وتحمل القصص العظات والحكم والصبر...

وقوله:" لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب .." [يوسف :١١١]

وفي قصة يوسف تبرز كثيراً من الشخصيات المتصارعة ... تنمو الأحداث والمواقف في تلك القصة نمواً عضوياً وتقوم على ركائز من الإرهاصات والنبوءات المغلفة بضباب يسترها ، ثم ينفرج رويداً رويداً عن شعاع الحقيقة ، وهو يعطي في ستره وانفراجه عناصر غنِية من التشويق والإثارة....''[١٢١]

وقد استخدم القرآن في أغراضه الدينية البحتة – كل أنواع القصص : القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها. والقصة الواقعية التي تعرض نموذجاً لحالة بشرية، فيستوي أن تكون بأشخاصها الواقعيين أو بأي شخص يتمثل فيه ذلك النموذج؛ والقصة المضروبة للتمثيل، والتي لا تمثل واقعة بذاتها ، ولكنها يمكن أن تقع في أية لحظة وأي عصر من العصور. [١٢٢]

ثالثاً المسرح الإسلامي:-

الحديث عن تأصيل المسرح يعني أن نطرح عدداً من التساؤلات مثل:

- ما هي نظرة الإسلام للفن المسرحي؟
- وهل من ارتباط بين الفن والمسرح والدين؟
- وهل يمكن اعتبار القصص القرآني قمة الدراما الفنية؟
- وهل يمكن اعتبار أهل الكهف (لتوفيق الحكيم) أنها قد نهلت من القصص القرآني؟
- وما موقف الفقهاء من الإنتاج الدرامي الذي يرتكز على التراث العربي والإسلامي.؟

وكما سبقت الإشارة من وجود علاقة بين الفن والدين ، كذلك يمكن ان نتصور علاقة بين المسرح والفن لأن المسرح هو فن من الفنون . والمسرح هو فن جماهيري لأنة يخاطب الجماهير مباشرة دون وسيط ، ولذلك يكون تأثيره أعمق على المتلقي (سلباً أو إيجابياً).

والمسرح هو أحد قنوات الاتصال الجماهيري – المعروفة بوسائل الاتصال المباشر (person-to – person communication) وهو نوع فعال من الاتصال.

والحديث عن تأصيل المسرح أو أسلمته يعنى أن يتبنى المسرح والمسرحيون عملية غرس القيم السامية وتدعيم الفضيلة في المجتمع. وعلى المسرح الإسلامي أن يلتزم بقضايا المجتمع وأن يتناول القضايا في قالب درامي يحترم المقدسات . وأن يتمثل المسرحيون تعاليم الإسلامي في كل جوانب الإنتاج الدرامي . وهذا يعنى مراعاة تقوى الله في التأليف والسيناريو والديكور

والزي والمظهر والأداء مع تجنب الخلاعة في المظهر أو الابتذال في اللفظ أو المبالغة في الحركات الدرامية. والمسرح أداة تعليمية وتثقيفية وتربوية ينبغي أن تجسد القدوة الحسنة . وأن يتم توظيفها إيجابياً في خدمة القيم النبيلة ومحاربة العادات الضارة ونشر المبادئ الإسلامية والسلوكيات الرفيعة والأخلاق الحميدة ، لا سيما وأن المسرح يتمتع بدرجة كبيرة من القابلية الشعبية والتأثيرية الجماهيرية . فمن خلال مخاطبة الجماهير من خشبة المسرح ومن خلال التغلغل في وجدانهم عبر أسلوب الضحك (الكوميديا) ومن خلال السيطرة على بؤرة شعورهم في لحظة انتباه ذهني واستغراق شعوري كامل ومعايشة عاطفية حية يمكن بث الرسالة في وعي الجمهور. والجمهور المتلقي في المسرح عندما يندمج بكامل حضوره الذهني ووعيه المنتبه إنما يشكل لحظة عالية الشفافية في التأثير واستيعاب الرسالة الإعلامية. فيمكن اغتنام هذه الفرصة لضخ مضامين رسالة إعلامية يصعب تقبلها بوسائل إعلامية أخرى أو في أوضاع مختلفة.

كما يتميز المسرح بأنه لا يحتاج إلي جمهور نخبوي أو متلقي ذي درجة عالية من التعليم . كما أنه يوفر مناخاً للعقل الجمعي يصعب جمعه لتوصيل رسائل محددة. ولكن ذلك يقتضي معرفة بسيكولوجية الجماعة وما ينتاب جمهور المسرح من حالة وجدانية مشتركة توحد العقول في ما يعرف بالعقل الجمعي،.

ونسبة للتأثير الكبير للمسرح على الجماعة فقد جاء قول أحد الفلاسفة: (أعطني مسرحا ، أعطيك أمة) . وكلمة أُمة، هنا لها دلالتها بكل ما تنطوي عليه من عناصر الثقافة.

إن تأصيل المسرح يعنى أن تقدم الحبكة الدرامية الصراع بين الخير والشر على أن تجسد من خلال الحوار مقدمات منطقية تنطوي على بطلان الشر وضعفه وقوة الحق ، وتنتهي بانتصار الخير والفضيلة . تأصيل المسرح هو آن نجسد قبح أعمال الرذيلة ونبرز جمال الحق والخير.

ويمكن استلهام الحبكة المسرحية من القصص القرآني . وقد كانت هناك تجربة سابقة في هذا المجال هي مسرحية أُهل الكهف، التي كتبها الأديب المصري (توفيق الحكيم) والتي لُقِّبت ب(المسرحية الرائدة في المسرح الديني). تم تمثيلها في المسرح القومي في القاهرة لأول مرة في عام ١٩٣٥. وأعيد إخراجها في عام ١٩٦٠م. وكانت هذه المسرحية هي "المسرحية الدينية الأولى في المسرح العربي باعتبارها أول عمل مسرحي متكامل وقائم على القصة القرآنية الواردة في سورة الكهف والتي تعتبر الدليل والمثل على معجزة البعث." (١٢٣)

وبصورة عامة يمكن القول إن معيارنا التأصيلي – الإسلامي للعمل الفني ينبغي أن يقوم على التقوى والأخلاق الفاضلة والاستقامة والسمو بسلوك الإنسان (فكل شعور صاعد وعمل صاعد ، وفكرة صاعدة ... فهي سائرة مع الإسلام في طريقه ... وكل شعور هابط وعمل هابط ، وفكرة هابطة ... فهي منحرفة ضالة عن الطريق... وكل ما يؤدي إلى التوازن وجمال المشاعر وصفاء النفوس وطلاقة الأرواح ، فهو جميل ومباح ومطلوب.'' [١٢٤]

الفن الإسلامي يجب أن يكون صادقاً وواقعياً يصور واقع الحياة بتناقضاتها (الحق والباطل ، والخير والشر...) ويدعم الجانب الإيجابي في هذه المنظومة التي يقوم عليها ناموس الكون إبتلاءً من الخالق. فيدعم الجانب الأرفع والأسمى ؛ فيقف مع الخير ضد الشر ، ومع الحق ضد الباطل ، ومع العدل ضد الظلم، ومع الاستقامة ضد الفساد والانحراف.

الفن في حاجة شديدة لمراجعة ليتسق مع التصور الإسلامي، وأن يكون فناً ملتزماً بأصول الدين وأخلاقيات الإسلام وأن يلتزم بمجاراة الناموس الكوني في جماله ونسقه وتوازنه.

وأن يشمل التأصيل قضايا الثقافة الأخرى مثل تأصيل دور المثقف والموقف من الغزو الثقافي وفي معالجة الأزمة الثقافية بتبني التصور الإسلامي في الثقافة ومحاولة تطبيق الثقافة الإسلامية على نحو ما أشارت إليه هذه الدراسة.

المبحث السادس

العولمة الثقافية وتحدياتها للأمة الإسلامية

قدم البروفسير مالكولم ووترز تعريفاً للعولمة بأنها: "عملية اجتماعية تتلاشى فيها حدود الجغرافيا وتذوب فيها حواجز الثقافة وتزداد فيها عملية الاندماج بين الشعوب." [١٢٥] هذا تعريف مبسط وشامل . ولكن للعولمة عدة أبعاد تتمظهر في جوانب كثيرة من الحياة المعاصرة. وبالتالي يمكن الحديث عن ظاهرة لها سماتها وخصائصها . هي ظاهرة ترتبط بعمليات اجتماعية أخرى يطلق عليها "ما بعد التصنيع" (Post- Industrialization) ؛ لأن التصنيع يمهد إلى إزالة الحواجز بين المجتمعات كما تتسم بالعقلانية وانحسار التأثير العاطفي أو الشخصي (depersonalization) في العلاقات الاجتماعية ، وتزداد أهمية التخصص المعرفي والفني وتطغى العقلانية على العمليات الطبيعية والاجتماعية . كذلك من سمات العولمة أنها تسبب

زيادة كبيرة في قوة الطبقة الرأسمالية لأن العولمة تفتح أسواقاً جديدة لهذه الطبقة. ويرى ووترز أن عملية العولمة يمكن رصدها في ثلاث نطاقات في الحياة الاجتماعية:-

=**اقتصاديا:** تنطوي العولمة على ترتيبات اجتماعية للإنتاج وعمليات التبادل التجاري والتوزيع واستهلاك السلع و الخدمات .

= **سياسياً:** تعني ترتيبات اجتماعية لممارسة السلطة خاصة بما يضمن تنظيم سلطة الرقابة والتحولات المؤسساتية لممارسة السلطة والدبلوماسية بما يفرض السيطرة وحسن إدارة الدولة وحماية أمنها وحدودها .

= **ثقافياً:** ترتيبات اجتماعية لإنتاج وتبادل الرموز والتعبير عن هذه الرموز التي تمثل الحقائق ، والمشاعر والمعاني والمعتقدات والتفضيلات والأذواق والقيم . (١٢٦)

وفي تحليل عملية العولمة يستعير البعض منهج ديركايم الخاص بالتكامل ، حيث يرى دوركايم أن التباين (differentiation) يؤدي إلى المزيد من التكامل لأن الوحدات الاجتماعية المتباينة هي الأقل اكتفاء بذاتها وتحتاج للتبادل في مجال الموارد الاجتماعية (مثل المواهب والقدرات والمهارات والمعرفة ورأس المال و السلع وغيرها) وكلها يجب أن تكون قابلة للتبادل . والتبادل في هذه المجالات هو من مظاهر الحداثة والتي تنطوي على الحراك وإزالة الحدود التقليدية مثل الحواجز الاجتماعية والعرقية . وتمتد عملية الحراك هذه لتشمل القيم حيث يميل نظام القيم في المجتمع الحديث إلى العالمية (Universalism) وهذه الشمولية في القيم تحمل مضامين واضحة لاتجاهات العولمة. وهنا يكمن خطر العولمة على الهوية الإسلامية.

ويحدد بارسونس (Parsons) أربع سمات عالمية تنطبق على كل مجتمع وهي :

التقنية وصلة القرابة واللغة والدين . كما يرى في سياق تطور المجتمعات سمتين أساسيتين للمجتمعات الوسيطة أو الانتقالية (مثل الإمبراطوريات القديمة والإقطاعية) وهما الطبقية والخصوصية الثقافية. كما يحدد بارسونس أربع خصائص عالمية ارتبطت بظهور المجتمعات الحديثة وهي :- التنظيم البيروقراطي ، والنقود والأسواق ، ونظام قانوني عالمي والديمقراطية.(١٢٧) أما ليفي (Levy) – تلميذ بارسونس – فقد تناول علاقة التحديث بنظام التداخل المجتمعي (Inter-societal) .ويختزل ليفي العولمة في التحديث .

ويرى ليفي أن عملية العولمة تنطوي على عمليات توجيه القيم (Value – orientation) في سياق عالمي (Universalistic) . وتقوم هذه القيم على فلسفة أن الفرد يتصرف بحسب الحالة

بغض النظر عن هذه الحالة وأن العلاقات الإنسانية تتسم بالعقلانية والعالمية و التخصص الوظيفي والبعد عن العاطفة.

ويرى كير (Kerr) و دنلوب (Dunlop) وميرز (Myers) أنه في سياق سعيها للحصول على المزيد من التقنية فإن المجتمعات تكيف نظمها الاجتماعية تبعاً لذلك . وأن التطور التقني يحدد أنماط العلاقات الاجتماعية أكثر من غيرها. ولكن بطبيعة الحال ينداح أثر التقنية إلى معظم جوانب الحياة الاجتماعية . ويرى كير أن المجتمعات الصناعية تطور نسق قيم متطابق يتمركز حول المادية، الالتزام بالعمل ، التعددية والإنجازات الفردية. [١٢٨] وبالطبع فإن خطورة العولمة هنا تكمن في انتقال (نسق القيم) الخاص بهذه المجتمعات الغربية – عن طريق العولمة – لتغمر كل المجتمعات غير الغربية وتطبعها بطابعها الثقافي والحضاري.

نحن الآن أمام معطيات محددة تفرزها العولمة من أبرزها أن العولمة مصدرها ومركزها الغرب ؛ وأن العولمة ليست هي أدوات ووسائل تقنية حديثة أو أنماط إنتاج جديدة بل هي مضامين قيمية وثقافية. لذلك يكون للخوف من الظاهرة ما يبرره والتحفظ في التعامل معها واجب. لذا ينظر الكثير من المفكرين والباحثين في عالمنا العربي والإسلامي إلى الجوانب الخفية لبريق العولمة. إن نقد الظاهرة لا يعني الانغلاق أو الرفض المطلق لها (وهو موقف غير ممكن في الواقع) بل ينطوي النقد على تجاوز حالة الانبهار والدعوة لتشكيل رؤية وصياغة منهج للتعامل مع الظاهرة بما يحفظ هوية (الآخر) في خضم عالم متعولم بسرعة مذهلة لا تنتظر المتفرجين ولا ترحم المنبهرين. إن القراءة الناقدة للعولمة تكشف حقيقة مضامينها باعتبارها ظاهرة جديدة في سياق التفوق والسيادة الغربية على العالم : " العولمة تعميم لنموذج حضاري استهلاكي أمريكي على العالم ."[١٢٩] لذلك يصف البعض العملية بأنها محاولة لأمركة العالم (Americanization) .

وبما أن العولمة مصدرها هذا الغرب الاستعماري والقوي فإن هذه الظاهرة تبدو ككائن خارق الإمكانات ، خارق القوى يتهيأ لافتراس ما يقع بين يديه على المستوى العالمي من جماعات ودول وشعوب . "وتأتي الأمة العربية والإسلامية في مقدمة الفرائس التي تستشعر الخطر لأنها تتمتع بمضمون ثقافي له دور فعال وأصيل على المستوى العالمي .. لذلك يكون فريسة نموذجية لهذا الكائن (العولمة). وهي نظام يهدف إلى أن يلغي كل (الأغيار) ويدمج كل التنوعات في صيغته الخاصة ويمتص ويستحوذ على كل المقدرات في الطبيعة وفي الإنسان

لمصلحته الخاص."[١٣٠] وتبرز هذه المصلحة الخاصة بالغرب (مركز العولمة) من خلال الإحصائيات التي تشير إلي أن ٢٠% فقط من سكان العالم في ظل العولمة يمكنهم الحصول على عمل والحصول على دخل والعيش في رغد وسلام. أما بالنسبة (٨٠%) فتمثل السكان الفائضين عن الحاجة ، الذين لا يمكنهم العيش إلا من خلال الإحسان والتبرعات وأعمال الخير . ومع العولمة يزداد تركيز الثروة وتتسع الفروق بين البشر والدول اتساعا لا مثيل له. فهناك مثلاً ٣٥٨ ملياردير في العالم يمتلكون ثروة تضاهي ما يملكه ٢,٥ مليار من سكان المعمورة – أي نصف سكان العالم . كما أن ٩٠% من مكاسب العولمة تعود على الأغنياء فقط. [١٣١] إذن العولمة ضد العدل ولا تحقق السلام الاجتماعي للعالم ، ولا شك في أن العرب والمسلمين هم على رأس قائمة الضحايا .

في نظر بعض النخبة العربية تشكل العولمة تحدياً بمنطق (نكون أو لا نكون) ؛ "إننا مقبلون على ماراثون وصراع البقاء في ظل العولمة التي هي ليست فقط سياسية أو اقتصادية أو عسكرية وإنما ثقافية وإدارية واجتماعية ." [١٣٢]

إن الإسلام نفسه بوصفه دين سماوي يتسم بالعالمية ، وعالمية الإسلام تختلف عن الأممية الماركسية التي تقوم على تهميش الفرد وإضاعة حقوقه وذوبانه في اشتراكية وهمية لا تحقق الخير للمجتمع . وكذلك تختلف عالمية الإسلام عن العولمة (الغربية) التي تقوم على رأسمالية تكرس الفرق بين الطبقات وتزيد من فقر وظلم الطبقات الفقيرة في المجتمع وتزيد من إفقار دول العالم غير الغربية . عالمية الإسلام تدعو للعدالة والإخاء والمساواة بين بني البشر : " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " .[الحجرات : الآية ١٣].

نحن الآن – في العالم العربي الإسلامي – نتعولم من خلال تعاطينا لأدوات العولمة من فضائيات وتجارة الكترونية وهاتف جوال وإنترنت ، ومن خلال تفاعلنا مع قيم وإفرازات ظاهرة العولمة . ومن خلال هذا التفاعل العولمي نتنازل (لا إرادياً) عن خصوصيتنا الثقافية ، ونتشرب تدريجياً قيم جديدة وأفده هي قيم الغرب.

إذن تكمن الخطورة في أننا نتعولم دون أن نهيئ أنفسنا لذلك بمنهج أصيل يرتكز على منطلقاتنا العقدية – وتلك هي مهمة التأصيل .

يرى ماكلولم ووترز أن عملية العولمة تتم بصورة أسرع عبر السياقات التي يتم فيها بناء العلاقات بواسطة الرموز . أن عملية تداول السلطة (الجانب السياسي) والتبادل المادي (الجانب الاقتصادي) بدأ يحل محلها نسق العلاقات الذي يقوم على نظام القيم ، والأفضليات والأذواق . وعلى خلفية هذا المنطق يمكن النظر للعولمة على أنها عملية '' ثقفنة (Culturalization) للحياة الاجتماعية."[١٣٣]

ويلاحظ مالكولم أن عملية العولمة تتم بصورة أسرع وأكثر فعالية عبر الثقافة مقارنة بالمجالين الآخرين (الاقتصاد والسياسة). ودعم رأيه هذا بأخذ الدين كمثال لذلك حيث يرى أن الأديان ظلت لعدة قرون تحمل مضامين عالية تربط بين مختلف الشعوب والأجناس وكمثال لذلك أشار إلى البوذية ، المسيحية ، الكونفوشية ، الإسلام والهندوسية ، حيث بقيت هذه الأديان – بما تحمله من قيم وولاء ات – فوق الدولة وفوق الاقتصاد. ولاحظ أن الاقتصاد والسياسة بدأتا في التعولم عندما اتجهتا إلى تبني قيم عالمية مثل اتجاه الدولة بالالتزام بقيم الديمقراطية المواطنة، والرفاهية كما حملت الرأسمالية في طياتها الالتزام بقيم الفردانية ، العقلانية ، والخصوصية. وفي خلال القرن العشرين تجلى الصراع بين الجوانب المختلفة لأنساق القيم في ظهور آيديولوجيات اقتصادية – سياسية عولمية (Universalizing)كالشيوعية ، والتيار المحافظ، والفاشية واللبرالية والاشتراكية. ومثل المسيحية والإسلام فقد ادعت هذه التيارات بأنها ذات توجه عالمي (global relevance). ويرى مالكولم أن الثقافة المتعولمة (globalized Culture) تسمح بالتدفق المستمر للأفكار والمعلومات والقيم والأذواق تحملها الرموز والوسائط الإلكترونية. وهذه التدفقات – كما يرى فيثرستون – (Featherstone 1995) تعطي الثقافة المتعولمة طابع مميز. [١٣٤]

يرى مالكولم أن العولمة بهذا الطابع الثقافي تشكل تهديداً كبيراً للخصوصية الثقافية وللأديان ، لأن هذه الثقافة ترتبط بالتحديث ، والتحديث يدمر التماسك القيمي والاجتماعي لأنه يؤدي إلى عزل الأفراد والأسر ويهدد القيم المقدسة ، ويفرض قيم جديدة.

وبالتالي يواجه الإسلام عولمة تحمل تفضيلات ثقافية تميل إلى استيعاب وتذويب الخصوصيات المحلية . وهذا يعني على الأمة الإسلامية أن تدافع عن نفسها في مجال حقوق الإنسان، الديمقراطية ووضع المرأة، كما تنطوي هذه الثقافة المتعولمة على علمنة الدولة والمجتمع

، وأن "العالم متعدد في تركيبه (Pluralistic) ويندفع على عجلة الاختيار الحر (Choice driven) وليس هناك ثقافة سائدة ."[١٣٥]

ويلخص البروفسير ووترز العولمة بالقول:

"Material exchanges Localize; political exchanges internationalize; and symbolic exchanges globalize"

وهذا يعني أن الثقافة هي أقوى أداة لتحقيق العولمة . وترتبط بالثقافة هنا عملية تبادل الرموز وانتقال الأفكار وتنميط الأذواق والقيم وتوحيد المشاعر وأنماط السلوك؛ وتشكل جسرا يربط بين الشعوب تذوب أمامها الفوارق وتتلاشى الحواجز وتنهار دونها الحدود . أما عملية التبادل المادي (الاقتصادي والتجاري) فهي تربط المجتمعات المحلية (Localize) بينما التفاعل السياسي يعمل على تدويل العلاقات (internationalize) ولكن الثقافة هي التي تعولم (Globalize) ."[١٣٦]

إذن يمكن القول أن العولمة الثقافية قديمة وأهم ركائزها الأديان ، أما العولمة الجديدة فهي عولمة ثورة التقنية والمعلومات والاقتصاد التي توسع المعايير الاجتماعية – الثقافية لتصبح عالمية . وهذا يعني أن العولمة الثقافية تنطوي على تهديد للهوية الثقافية للمجتمعات المحلية وتشوه طابعها الحضاري وتقليص العلاقة الحميمة بين المثقف والحياة الاجتماعية وتضاؤل المجالات الإبداعية وتحويل الثقافة إلى سلعة وتشويه تراث الأمة الإسلامية وتهميش لغتنا القومية وتعويق خطنا في تعريب العلوم بسبب وسائط العولمة التي تجعل اللغة الإنجليزية لغتها ذات السيادة (نسبة ٧٠%).

الثقافة العولمية ليست نسقا مجتمعاتياً لإنتاج وإعادة إنتاج وتداول الفكر والمعرفة فحسب بل أيضاً نمط لتسريع دورة هذا النسق وتعميمه كجزء من عملية الاستهلاك . وبما أن الثقافة هي نظاماً للقيم والتصورات السائدة في مجتمع فإن ثقافة العولمة تسعى '' لتكريس وتعميق وتعميم نموذج ... أو فرض نمط ثقافي واحد وموحد ، إحدى ركائزه الكبرى قيم الاستهلاك وثقافة الاستهلاك . والثقافة العالمية الجديدة لا تأخذ أشكالاً اقتصادية ومادية محضة فحسب بل تأخذ لها أيضاً أشكالاً رمزية وجمالية وتصبح الصورة فيها هي الأساس والمركز ."[١٣٧]

وعندما تمتطي هذه الثقافة صهوة الإعلام الدولي الجامح وتدخل في نسيج العنكبوتية تظهر هنا خطورة العولمة على المجتمع المسلم والهوية الإسلامية. وأدت هذه الهمجية الثقافية

العولمية إلى اهتزاز المنظومة القيمية في مجتمعاتنا العربية الإسلامية فبدأت تضعف علاقاتنا الاجتماعية والروابط الأسرية وكذلك بدأت تضعف قيم التكافل الاجتماعي لأن ثقافة العولمة تستغرقنا وتغرقنا بتقنيات بل بمضامين تسحب منا عامل الزمن والفراغ والعبادة وصلة الرحم وتجعلنا ببريقها (الاستهلاكي) نسرف في كل شيء والإسراف والتبذير – في المادة والمال والزمن – نهى عنها الإسلام. لذلك نحتاج إلى جهد تأصيلي يركز على إعادة توجيه القيم لتتسق مع نظام القيم الإسلامية.

إن من شأن التأصيل توحيد المنهج لمقابلة مثل هذه التحديات . إن توحيد المنهج من خلال رؤية تأصيلية – تجديدية يساعد على تقديم صورة صحيحة لقيم الإسلام ومشروعه النهضوي ويوحد اللغة والخطاب.

إن العولمة في نظر بعض الباحثين تشجع عوامل التفتت والانقسام داخل المجتمعات الأخرى فهناك شرائح في المجتمع الواحد تتعولم بحسب إمكانيتها المادية وتواصلها مع الخارج بينما تبقى الأقلية خارج إطار الحداثة وخارج زمن العولمة ولذلك تثير العولمة التناقضات الطبيعية والعرقية والدينية وتؤدي إلى توترات داخلية و "تتيح تفتيت البني الثقافية والأخلاقية وأنظمة القيم داخل كل مجتمع ، وداخل كل حضارة لمصلحة تيار الحداثة."(١٣٨)

وهذا الوضع يفرض على المجتمع المسلم مسؤوليات تربوية في الأسرة والمدرسة والحياة الخاصة والعامة لتحصين أجيالنا ضد هذا الطوفان والتيار الثقافي المادي – العلماني – الغربي المتعولم الذي يتدفق بواسطة الإنترنت والتلفزيون والسينما والصحافة تحت ذريعة الحداثة .

إن الهدف من العولمة هو تكوين الإنسان الجديد. لكنه الإنسان "المملوك والمصادر إعلامياً الغارق في الشكلية ، الخالي من أي مضمون .. إنه الإنسان المادي الذي تقوم حياته على الاستهلاك المحض ، وعلى اللذة والمتع الحسية ، الخالي من القيم والأخلاق. " (١٣٩)

اتخذت الحركات الإسلامية في مواجهة العولمة مواقف متباينة بين رافض ومندمج بصورة مطلقة . ولكن الموقف الموضوعي هو التوفيق حيث أن الاندماج المطلق والاستجابة لكل مقتضيات العولمة ، والتخلي عن كل الخصوصيات التي تميز الشخصية، هذا موقف استسلامي انهزامي؛ كما أن الانسحاب والتشبث بالمحلية غير واقعي ولا يمكن تحقيقه لأن العولمة تخترق الأسوار وتتجاوز الحدود . ولذلك يكون الموقف الصحيح هو في إدارة العملية الثقافية الاقتصادية

الإعلامية ، وبالتواصل مع العالم الخارجي بحيث نولّد عولمتنا الخاصة على قاعدة الثوابت الإسلامية التي تتسم بها الأمة الإسلامية والأمة العربية.

الخاتمة

إن الحديث عن التأصيل الإسلامي في ظل العولمة يستلزم استصحابنا لمعطيات العولمة خاصة في مجال الإعلام والثقافة والفكر وما يرتبط بهذه المكونات من هجوم علماني متقن على الإسلام وعلى ثوابت الأمة العقدية والقيمية وهويتها وما تستهدفه من إضعاف لحصانة الأمة و فاعليتها في مواجهة الغزو الخارجي.

إذن لحماية هويتنا الإسلامية من مهددات العولمة ينبغي التعامل مع العولمة بوعي. وأن نتجه نحو بناء تحصين ثقافي يتكامل مع عملية تأصيل إعلامي لأن الإعلام هو حامل الثقافة، والثقافة أهم مرتكزات الهوية. هذا الوعي مهم جداً في عصر العولمة الراهن إذ أن ثورة المعلومات والعولمة تستخدم الفضائيات والإنترنيت لقهر الثقافات الأخرى. فالقنوات الاتصالية ليست محايدة بل تحمل مضامين ورؤى ينبغي التعامل معها بحذر وبرؤية تنطلق من تصور إسلامي معاصر في سياق الصراع الحضاري الجديد.

إن التأصيل الثقافي مطلوب بصورة ملحة لإحداث النهضة الحضارية للأمة . لأن النهضة الحضارية للأمة الإسلامية لا يمكن أن تنطلق من الواقع الغربي الحداثي ، بل تتطلب تطوير نموذج حضاري (إسلامي) بديل ينطلق من الذاتية التاريخية للأمة الإسلامية التي تستمد فلسفتها ومنهجها وهويتها من الوحي الذي يشكل إطاراً لرؤيتها وقيمها وتوجهها . مثل هذا المشروع الحضاري الضخم لا يمكن أن يقوم على رؤية هلامية ممزقة بين جاذبية الحداثة وأصالة التراث ، بل يقوم على الرؤية الإسلامية الموضوعية. وهى رؤية تتعامل مع التراث بعقلانية نافذة و تتكيف مع الواقع الحديث بهوية متماسكة .

و يمكن أن نعول كثيراً على الثقافة والإعلام في تشكيل هذه الرؤية الإسلامية خاصة إذا نجحنا في تأصيلها بصورة سليمة تستصحب إفرازات الحداثة و تقنيات و تحديات عصر العولمة و الإنترنت. على الإعلام الإسلامي أن يساهم في تأسيس المناخ العقلي من حيث الخطاب و الأدب الذي نستخدمه وفق هذا العصر المتعولم و الذي ينذر بتحولات خطيرة في نسق القيم و الثقافة والعلاقات . وإذا لم نعد أنفسنا الإعداد المناسب لذلك ؛ وإذا لم نحسن التعامل مع هذا

الطوفان الإعلامي الحديث، فعلينا أن نتوقع تعرض مجتمعنا إلى هزة عنيفة في خصائصه وبنيته وعلاقاته بل ونسيجه الكامل، ومن ثم هويته.

غير أن التأصيل الثقافي المطلوب لا يمكن أن يتم ما لم يصحبه تأصيل إعلامي لأن الإعلام هو حامل الثقافة وبالتالي لا بد من أن نؤصل لإعلامنا من حيث الفلسفة والمنهج والمؤسسات. بمعنى أن يتكامل التحصين الثقافي والإعلامي وفق منهج متكامل توحيدي–تأصيلي و تجديدي.

الهـوامش

١- حيدر إبراهيم علـى ، التيـارات الإسـلامية وقضـية الديمقراطيـة ، بيـروت : مركـز دراسـات الوحدة العربية ،١٩٩٦، ص ١٥

٢- محمد العربـي الخطـاب، الثقافـة الإسـلامية، مميزاتهـا وسـبل تنميتهـا. مجلـة الإسـلام اليـوم : المنظمـة الإسـلامية للتربيـة والعلـوم والثقافـة (إيسيسكو) ، العـدد ١٢،١٤١٥هـ /١٩٩٤م ص ١٧.

٣- (Encyclopedia Britannica , William Benton, Chicago, 1969,pp 824 – 832

٤- David L. Sills (ed.) International Encyclopedia of the Social Sciences, Vol. 3.The Macmillan Company of the Free Press, New York, 1972, p.527

٥- مالك بن بني، شروط النهضة، دمشق: دار الفكر، ص٨٣.

٦- د. علـى هـود باعبـاد،" الهجمـة التربويـة و الثقافيـة الغربيـة علـى الأمـة العربيـة والإسـلامية وكيفيـة التصـدي لهـا"، (ورقـة عمـل قدمـت للمؤتمـر الشـعبي العربـي والإسـلامي) ، الخرطـوم ،٢٥-٢٨ إبريل ١٩٩١ ، ص٥.

٧- محمـد الرميحـي (دكتـور)، الثقافـة والحريـة. مجلـة الحـوادث ، العـدد ٢٢٠٢. لنـدن، ١٩٩٩/١/١٥، ص ٥٥.

٨- عمر سليمان الأشقر (دكتور)، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ط٢، عمان(الأردن)دار النفائس ،١٩٩٧ ،ص١٧.

٩- عبد الغنـي النوري (دكتور) ، نحو فلسفة عربية ،ص ٥٤. في الأشقر ، المصدر السابق ،ص١٨.

١٠- الأشقر، المصدر السابق ، ص ٢١.

١١- الموسوعة العربية الميسرة للدكتور شفيق غربال ورفاقه، ص٣٩.

١٢- الأشقر، المصدر السابق، ص٢١.

١٣- منهج الثقافة الإسلامية لمحب الدين خطيب ، ص١٠. في الأشقر المصدر السابق، ص٢٤.

١٤- الأشقر ، المصدر السابق ، ص٢٥.

١٥- حسين معلوم، قراءات في الفكر القومي: القومية العربية الثقافية. في مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٢٣. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، سبتمبر ١٩٩٧، ص ١٤١.

١٦- المصدر نفسه ، ص١٤٢.

١٧- المصدر نفسه ،ص١٤٢.

١٨- تعريف الياس فرح لمفهوم الثقافة القومية : في مجلة المستقبل العربي . المصدر السابق ،ص ١٤٣.

١٩- مجلة الإسلام اليوم، المصدر السابق، ص ١١.

٢٠- المصدر نفسه ،ص١١.

٢١- عبد العزيز التويجري ، مجلة الإسلام اليوم (الإيسيسكو)، المصدر السابق ،١٢.

٢٢- عمر سليمان الأشقر ، المصدر السابق ،ص٢٧

٢٣- المصدر نفسه ،ص٢٩

٢٤- المصدر نفسه ،ص٣٣

٢٥- المصدر نفسه ، ص٣٦.

٢٦- المصدر نفسه، ص ص ٣٧-٣٨.

٢٧- المصدر نفسه ، ص ص ٤٣-٥١.

٢٨- محمد العربي الخطاب، المصدر السابق، ص ١٨.

٢٩- المصدر نفسه ، ص١٩.

٣٠- المصدر نفسه ، ص٢٠.

٣١- عبد العزيز الدوري ، '' الهوية الثقافية العربية والتحديات'' ، في مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٤٨، بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية ، أكتوبر ١٩٩٩، ص٦.

٣٢- حسن التل .'' الكتابة خارج الزمن الرديء: الحالة العربية الإسلامية المعاصرة، وتشوه العاطفة واحتلال التوازن'' ، صحيفة اللواء ، الأردن ، ١٩٩٩٤/١٢/١٤م.

٣٣- المصدر نفسه.

٣٤- عماد الدين خليل ، حول تشكيل العقل المسلم، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩١، ص ٤٣.

٣٥- د.عبد الغفار رشاد ، الرأي العام ، دراسة في النتائج السياسية ، القاهرة ،١٩٨٤، ص ١٣٢ .

٣٦- المصدر نفسه ،ص ١٣٥.

٣٧- عبد الإله بلقيز ، ''مازال دور المثقف مطلوباً'' ، صحيفة الحياة ، لندن العدد ١٢٩٤،١٥/٥/١٩٩٧.

٣٨- د.تيسير الناسف، ''دور المثقف في المجتمع"، صحيفة القدس، لندن، العدد ٣٢٨، ١٩٩٦/٧/٨.

٣٩- وميض جمال نظمي، '' المثقف العربي بين السلطة والجماهير: إشكالية العلاقة الصعبة '' مجلة المستقبل العربي، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد ١٨٦، أغسطس ١٩٩٩)، ص٦٢.

٤٠- المصدر نفسه ، ص ٦٣.

٤١- عبد الجبار الرفاعي ، الإسلاميون والثقافة التراثية ، مجلة التوحيد ، العدد ٦٤، إيران ، إبريل ١٩٩٣م ، ص ١٢٣ .

٤٢- آية الله الخاميئني ، الغزو الثقافي في المجتمع الإسلامي ، مجلة (منظمة الإعلام الإسلامي) ، إيران ، العدد ٦٣ ، ١٩٩٣ ، ص٤٩ .

٤٣- الدكتور عباس أرحيله ، '' نظرية هنتنجتون أغفلت عمق وأسرار العلاقات بين الحضارات '' ، صحيفة المستقلة ، العدد ١٧٠ ، لندن ،١٩٩٧/٨/١١.

٤٤- المصدر نفسه.

٤٥- المصدر نفسه.

٤٦- (Samuel P. Huntington, "If not Civilization, What?" Paradigms of the Post–cold war, Foreign affairs, No. 75:5, Nov/Dec, 1993,

٤٧- د. عمر سليمان الأشقر، المصدر السابق ، ص ص ٥٥-٥٦.

٤٨- المصدر نفسه ، ص ٥٨.

٤٩- المصدر نفسه ، ص ص ٥٨-٥٩.

٥٠- زكي أحمد ، الحركة الإسلامية ومعالم المنهج الحضاري ، ط١ . بيروت : دار البيان العربي ، ١٩٩١، ص ١٤٩.

٥١- د. على هود با عباد المصدر السابق ، ص ٨.

٥٢- زكي أحمد ، المصدر السابق ، ص ١٤٩.

٥٣- المصدر نفسه ، ١٤٩.

٥٤- المصدر نفسه ، ١٤٦.

٥٥- المصدر نفسه ، ص ١٤٨.

٥٦- د. عابد بن محمد السفياني ، المستشرقون ، جدة : دار المنارة ، (د.ت) ، ص١

٥٧- أنظر هـ.أ . جب ، '' وجهة الإسلام'' ، ص ٢١٤.في عابد بن محمد السفياني ، المصدر السابق ، ص ١.

٥٨- مجلة الشاهد، العدد ١٣٥، نوفمبر ١٩٩٦م، ص١٠٨.

٥٩- أحمد موصللي ، '' الولايات المتحدة والأصولية الإسلامية ، السفير ،١٥/٣/١٩٩٣م

٦٠- محمد عابد الجابري ، الثقافة العربية اليوم ، مسألة (الاستقلال الثقافي) ، مجلة المستقبل العربي ، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربي) ، أغسطس ١٩٩٣م، ص ٨.

٦١- محمد عابد الجابري ، المصدر السابق ، ص ٨.

٦٢- المصدر نفسه.

٦٣- عبد الإله بلقير ، المصدر السابق .

٦٤- على الجرباوي ، نقد المفهوم الغربي للتحديث ، العلوم الاجتماعية ، الكويت ، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع ، شتاء ١٩٨٦. في : نصر محمد عارف ، نظريات التنمية السياسية المعاصرة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، واشنطن ، ١٩٩٢ ، ص ٢٤٦.

٦٥- Lucian W. Pye, The concept of Political Development, in Kebschull (ed.) *Politics in Transitional Societie*s .New York: Appleton – century, 1968, P.285.

٦٦- د. محسن عبد الحميد: أزمة المثقفين، ٣٩. في: د. أحمد محمد جاد عبد الرازق ، فلسفة المشروع الحضاري: بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي ، الجزء الأول ،ط١ ، فيرجينيا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،١٩٩٥م ، ص ١٩٦.

٦٧- د. أحمد محمد جاد عبد الرازق ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

٦٨- الدكتور أكرم ضياء العمري ، التراث و المعاصرة . (سلسلة كتاب الأمة ،١٠) ، قطر : رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ، ١٤٠٥هـ ، ص ص ٨-١٠.

٦٩- المصدر نفسه ، ص ١٣.

٧٠- عبد العزيز الدوري، المصدر السابق، ص ٨.

٧١- د. على الطاهر شرف الدين، تأصيل المعرفة : أسسه وأهدافه ، مجلة التأصيل ، العدد (٦) ، (الخرطوم : إدارة تأصيل المعرفة بوزارة التعليم العالمي والبحث العلمي) ، يناير ١٩٩٨، ص ٥.

٧٢- لؤي صافي ، العقل والتجديد ، مجلة المستقبل العربي العدد ٢٢٣ ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، سبتمبر ١٩٩٧، ص ٢٧.

٧٣- المصدر نفسه ، ص ٢٧.

٧٤- المصدر نفسه .

٧٥- صحيفة الحياة، لندن، العدد، ١٢٥٩٧، ١٩٩٧/٨/٢٦م.

٧٦- الدكتور عبد الغني أبو العزم، مجلة العالم، العدد ٥٨١، أغسطس ١٩٩٧، ص ٣٢

٧٧- لؤي صافي ، المصدر السابق ، ص ٢١.

٧٨- المصدر نفسه ٢١.

٧٩- المصدر نفسه .

٨٠- المصدر نفسه .

٨١- المصدر نفسه .

٨٢- محمد عابد الجابري، المصدر السابق ، ص ١٠ .

٨٣- المفكر الباكستاني إقبال أحمد ، في حوار بجريدة الشرق الأوسط . العدد ٣٨٣١، ١٩٩٧/٨/١١م.

٨٤- المصدر نفسه.

٨٥- المصدر نفسه .

٨٦- الدكتور الطيب التيزيني ، '' هل الثقافة العربية في أزمة؟'' ، صحيفة الدستور الأردنية ، ١٩٩٧/٥/٨م.

٨٧- صحيفة الدستور، عمان، الأردن، ١٠١٠/١٩٧٥م.

٨٨- الدكتور الطيب التيزيني ، المصدر السابق .

٨٩- فهمي هويدي ، '' متى تنتهي حروبنا الثقافية والأهلية؟'' ، مجلة المجلة ، العدد ٨٩٨ ، ٤/٢٧ -١٩٩٧/٥/٣م ، ص ٣٤.

٩٠- المصدر نفسه ، ص ٣٥.

٩١- عبد الرحيم حسن، الثقافة والتطور التكنولوجي، مجلة العالم.

٩٢- فهمي هويدي ، المصدر السابق ص ٣٥.

٩٣- المصدر نفسه .

٩٤- الدكتور زكريا إبراهيم ، مشكلات فلسفية (٣): مشكلة الفن، القاهرة : مكتبة مصر ، (د . ت) ص ٧.

٩٥- المصدر نفسه ، ص ٨.

٩٦- المصدر نفسه ، ص ١١.

٩٧- المصدر نفسه ، ص ٥.

٩٨- المصدر نفسه ، ص ٦.

١- محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، الطبعة السابعة، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٧، ص ٥.

١٠٠-المصدر نفسه ، ص٦.

١٠١-د. مصطفى عبده، أثر العقيدة في منهج الفن ، مجلة التأصيل ، الخرطوم : وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، (إدارة تأصيل المعرفة) ، العدد ٦ ، يناير ١٩٩٨ ، ص ٨٥.

١٠٢- المصدر نفسه ، ص ٨٦.

١٠٣- المصدر نفسه ، ص ٨٦.

١٠٤-المصدر نفسه ، ص ٨٧.

١٠٥- المصدر نفسه ، ص ٨٧.

١٠٦- المصدر نفسه ، ص ٨٩.

١٠٧- محمد قطب ، المصدر السابق ، ص ٨٥.

١٠٨- المصدر نفسه ، ص ١٩.

١٠٩- المصدر نفسه ، ص ٢٣.

١١٠- المصدر نفسه ، ص ٨٧.

١١١- المصدر نفسه ، ص ص ٩٢-٩٣.

١١٢- المصدر نفسه ، ص ٩٥.

١١٣- المصدر نفسه ، ص ٩٦.

١١٤- أحمد شوقي قاسم ، المسرح الإسلامي : روافده ومناهجه ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٨٠ ، ص ٣٥.

١١٥- المصدر نفسه ، ص ٣٥.

١١٦- المصدر نفسه ، ص ٣٩.

١١٧- المصدر نفسه ، ص ٤٣.

١١٨- محمد قطب ، المصدر السابق ، ص ١٥٦.

١١٩- أحمد شوقي ، المصدر السابق ، ص ص ٥٤-٥٥ .

١٢٠- المصدر نفسه ، ص ص ٨٠ -٨١.

١٢١- محمد قطب ، المصدر السابق ، ص ١٥٧.

١٢٢- أحمد شوقي ، المصدر السابق ، ص ٩١ .

١٢٣- محمد قطب ، المصدر السابق ، ص ٧٢.

١٢٤- المصدر نفسه.

١٢٥- Malcolm Waters, Globalization , Key Ideas, London and New York: Routledge, 1995, P.3

١٢٦- المصدر نفسه، ص ٨.

١٢٧- المصدر نفسه، ص ١٥.

١٢٨- المصدر نفسه، ص ص ١٦ - ١٧.

١٢٩- د. محمد عابد الجابري، حديث صحفي لجريدة المستقلة، لندن، العدد ١٧٠، ١٩٩٧/٨/١١.

١٣٠- مجلة الحوادث العدد ٢٢٤٣، ١٩٩٩/١٠/٢٩ ، ص ٦٤.

١٣١- برهان غليون '' هل تعني العولمة عودة الاستعمار بثياب جديدة ؟.'' ، صحيفة الأنباء ، الخرطوم العدد ٩٠٦ ، ١٩٩٩/١٢/١٣.

١٣٢- محمد مهدي شمس الدين: '' العولمة وأنسنة العولمة''، في مجلة منبر الحوار، مجلة فصلية، العدد ٣٧، بيروت: الفلاح للنشر والتوزيع، شتاء ١٩٩٩. ص ص ٥-٦.

١٣٣- هانس بيتر مارتين فخ العولمة، (ترجمة د. عدنان عباس علي)، الكويت: عالم المعرفة، العدد (٢٣٨)، ١٩٩٨، ص ١١.

١٣٤- وكالة الصحافة العربية، خدمة خاصة، صحيفة الرأي العام السودانية، الخرطوم، العدد ١١٤٦، ٢٧ ١٠/٢٠٠٠.

١٣٥- Water Lipmann, "The World Outside and the Picture in Our Heads". In: *The Process and Effects of Mass Communication*, by Wilbur Schramm and Donald F. Robert, (eds.), University of Illinois Press 1977, P265.

١٣٦- بول فيندلي، من يجرؤ علي الكلام؟ بيروت، ١٩٨٦، ص ٤٨٣.

١٣٧- د. جلال أمين، '' المسلمون في مواجهة ثورة المعلومات'' في مجلة المجتمع، العدد ١٣٤٤، ٦/٤/١٩٩٩.

١٣٨- سمير أمين، العولمة: مناخ العصر، رؤية نقدية في العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي: ندوة مركز البحوث العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٩، ص ٥٩.

١٣٩- د. جلال أمين، مجلة المجتمع، العدد (١٣٤٤)، ٦/٤/١٩٩٩، ص ٢٤.